العدد الخامس من السنة الرابعة : ربيع الثانى سنة ١٣٦٢ — مايو سنة ١٩٤٣

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

		صفحة
النشاط الاجتماعى لوزارة الشئون		٣
على ضوء بيان وزير المالية		٩
اللبن واقتناع ربة البيت به	الدكتور محمد أمين السكرى	١٦
مشروع بفردج	الأستاذ سيد قطب	٢١
أسس النجاح فى الأعمال الحرة		٣٠
بعض مشاكل الأسرة المصرية	الأستاذ فايد العمروسى	٣٣
أهم واجباتنا فى سنوات الزواج الأولى	الكاتبة زينب محمد حسين	٣٩
جامعة شعبية لرفع مستوى العمال		٤٥
يوم فى بهتيم	الأستاذ محمد عبد الكريم	٤٨
هذا الانسان	الأستاذ مصطفى صبحى	٥٥
الغيرة	الأستاذ حسن مظهر	٦٠
كيف ينبغى أن تكون الأخلاق	الأستاذ عطيه مصطفى مشرفة	٦٦
لماذا نفشل فى حياتنا الزوجية	الأستاذ عيسى متولى	٦٨
الحزين الباسم (قصة اجتماعية)	بقلم سمير	٧٣

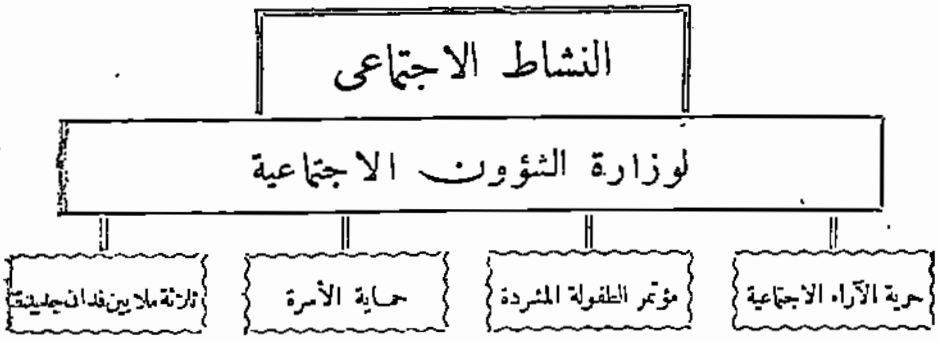

(١)

خطب معالى وزير الشؤون الاجتماعية فى دار المؤتمر الأخلاقى، فوردت فى خطابه هذه الفقرات :

" ولما كانت وزارة الشؤون الاجتماعية هى فى الواقع الوزارة التى تتصل بأفراد الأمة وطبقاتها اتصالا مباشرا ، وهى التى تبحث شؤونهم . وهى لا يمكن أن تقوم بمهمتها خير قيام مالم تتبادل الرأى مع أفراد الأمة وذوى المكانة فيها ، وأن تكون لهم الحرية التامة فى نقد الوزارة ومشاريعها . لذلك اقترحت على زملائى الوزراء هذا الأمر فوافقونى عليه . وللكتاب ولذوى الرأى مطلق الحرية فى إبداء آرائهم حرة طليقة " .

هذه الفقرات يجب أن تسجل ، فهى تدل على أشياء كثيرة :

تدل على الرغبة الحقيقية فى القيام بالواجب ، لا مجرد الضجة والإعلان عن مشروعات وإجراءات. وفى سبيل هذه الرغبة يباح النقد وتطلق حريته ، ولا تقوم الرقابة بمهمة حماية الوزير ومشروعاته مهما كان فيها من أخطاء ، فهو يرغب فى أن يعرف أخطاءه ، وأن يصلحها ، وأن يقبل كل ما يقال عنها .

وتدل على الرغبة فى الاتصال بالشعب ، ومعرفة رأيه فيما يصنع له المشرفون على شؤونه وتلقى رغباته ومحاولة تحقيقها . والواقع ان تعرف رغبات الشعب الحقيقية لا يمكن أن يتم مالم تطلق له الحرية فى أن يدلى بآرائه حرة طليقة ، كما يقول معالى الوزير . والإصلاح الاجتماعى لن يفيد ما لم يكن مبنيا على هذه الرغبات ، وناشئا عنها ، وموافقا لها .

وتدل على أن لدى وزارة الشؤون الاجتماعية ما تعمله لهذا الشعب ، وأن فى جعبتها ما تلبى به رغبته فى الإصلاح الاجتماعى . فلو لم يكن لديها ما تعمله وما تعرضه ما اطمأنت إلى إطلاق حرية النقد ، ولما طالبت المفكرين أن يبدوا آراءهم حرة طليقة . وهذا ما نستبشر به خيرا ويستبشر به كل محب للاصلاح .

يجب أن نسجل هذه الفقرات إذن لما تدل عليه من هذه المعانى ؛ والواقع أن الشؤون الاجتماعية التى أصبحت الشاغل الأكبر للمفكرين ورجال السياسة فى العالم لا تزال منزوية عندنا

ولم تشغل بعد ما ينبغى أن تشغله من الاهتمام . فلعل إطلاق حرية الحديث فيها والكتابة يجعلها تشغل مكانها من نفوسنا ومن تفكيرنا ؛ فنحن على أبواب عالم جديد ، تمهد له الأمم التى سبقتنا فى مضمار الإصلاح الاجتماعى بمشروعات ضخمة شاملة كمشروع بفردج ، ومشروع روزفلت للضمان الاجتماعى ؛ ونحن فى حاجة أشد من حاجة الأمم جميعا ، لأن نعمل شيئا نمهد به لهذا العالم الجديد . والحرية فى تقديم المشروعات وفى نقدها هى التى تضمن لنا أن ننهض بهذا الواجب ، وأن يتم تنفيذه فى جو طليق ، وفى مجال منير ، لا تقيده القيود ، ولا يدب ويخطو فى الظلام !

(٢)

ولقد بدأ معاليه عهد اطلاق الحرية للنقد بمؤتمر عام لعلاج مشكلة الطفولة المشردة . وتحدث معاليه فى هذا المؤتمر فقال : " إننا ننفق ٥٩ ألف جنيه على حوالى ألف طفل تضمهم الملاجئ الحكومية ، أى أن الطفل الواحد يكلف نحو خمسة جنيهات فى الشهر ، وهو مرتب يعطى لرب عائلة لا لطفل " .

ثم قال : " إنه كان يرى شخصيا تنفيذ أحد حلين ، فإما أن يعاد الطفل الى والديه أو أولياء أموره ويعطوا جنيهين أو جنيها ونصف الجنية ليعملوا على تنشئته تنشئة صالحة ، وإما أن تنقل الملاجئ إلى المدن الصناعية كالمحلة الكبرى أو كفر الدوار ، وبذلك يمكن اعداد اللاجئين للصناعات العامرة فى هذه المدن وتشغيلهم فيها بعد ذلك " .

وأضاف معاليه إلى ذلك أنه لاحظ أن أغلب أطفال الملاجئ يتعلمون صناعات لا يلتحقون بها إذا خرجوا من ملاجئهم . فقد زار ملجأين بلغت نسبة من تخرجوا منهما ولم يشتغلوا فى الصناعات التى كانوا يزاولونها الى مجموع المتخرجين ٩٩ فى المائة ! .

ولاحظ نفس هذه الظاهرة فى السجون وضرب مثلا باصلاحية الرجال حيث وجد فيها فقيها ظل فى الاصلاحية ثمانية عشر عاما ولم يتعلم فيها إلا صناعة الكيزان وهى صناعة لا تهيئه للحياة والكسب بعد ثمانى عشرة سنة .

وهذه الحالات التى ذكرها معاليه خاصة بالملاجئ والاصلاحيات ، وإصلاح الملاجئ والاصلاحيات مسألة هامة ولا ريب . ولكن المشكلة الكبرى هى مشكلة الطفولة المشردة وأسباب تشردها ، ومشكلة الإجرام وأسباب تفشيه . وهاتان المشكلتان الأصيلتان فى حاجة إلى الحل الحاسم السريع .

وقد عبر معاليه عن هذه الحقيقة تعبيرا صريحا ، حين تحدث عن المشردين فى الشارع واللاجئين منهم إلى الملاجئ قال :

" وليس فى استطاعة الملاجئ أن تتسع لهذه الأعداد الهائلة ، وكل ما تتسع له الملاجئ هو ستة آلاف طفل لمدة عشر سنوات ، وخير عندى مع هذه الحال أن يترك هذا العدد مع أقرانه تفعل بهم الأقدار ما تفعل بهم ، لأنهم فى الواقع ليسوا إلا عددا ضئيلا بالنسبة للآلاف المؤلفة الذين يتيهون فى هذا المجتمع ، ولا فائدة ترجى ما لم يكن العلاج شاملا " .

وحين تحدث عن السجون والمجرمين ذكر أرقاما مخيفة فقال : " إن هذا المجتمع يدخل فى سجونه كل عام ٢٠٠ ألف مجرم وعلى هـذا القياس يكون مجموع من يدخلون السجون فى مدى عشر سنوات مليونين من ستة عشر مليونا مجموع سكان البلاد ، و إذا تخيلنا هـذا العدد الضخم فلا نجده شاملا لجميع المجرمين ، و إنما هو خاص بالذين وضعت العدالة يدها عليهم وثبتت جرائمهم أما الذين يرتكبون جرائم و يفلتون من يد العدالة فهم بلا شك يكونون نسبة هائلة ليس من السهل حصرها على وجه الضبط ، و إذا بقينا على هذا الحال فإننا نترقب مصيرا مزعجا لهذا المجتمع ، ما لم نبادر حكومة وشعبا مخلصين متكاتفين إلى تعرف مواطن الداء واستئصال العلة من أساسها " .

ومعاليه بهذا يرسل صوت التذير ، ويدعمه بالأرقام والإحصاءات ، فيجب أن نفتح أعيننا على الهاوية التى يتردى فيها الملايين من الشعب ، فيؤثر تردیهم فى المجتمع كله ، فلقد انقضى الزمن الذى كان الفرد ينظر إلى نفسه ومصالحه ككائن مستقل ، ولا يشغل باله ما يحل بالآخرين ، المجتمع اليوم كتلة واحدة متماسكة ، وهذه الأجزاء الفاسدة فيـه تؤثر فى حركته ونظامه تأثيرا مباشرا ، ينشأ عنه العجز والاختلال .

وسيمضى هذا المؤتمر فى عمله ، ولكنه فى حاجة إلى أن يعاونه بالرأى كل رأى ، والحرية مطلقة والنقد مقبول ، والواجب واجب الجميع ، والمستقبل مستقبل الجميع .

(٣)

وكل باحث عن التشرد وعن الجريمة ، لا بد أن يلقى باله إلى الأسرة ونظامها . فبناء الأسرة عامل من أهم العوامل فى صـلاح المجتمع أو فساده . والأسرة هى المجتمع الصغير ، وهى محور المجتمع الكبير .

وهذه الأسرة مهددة فى مصر تهديدا خطيرا كما تنطق بذلك الاحصاءات التى ذكرها معالى الوزير ، فقد عقد فى سـنة ١٩٤٢ فى مدينة القاهرة ١٨,٠٠٠ زواج ، و بلغت حوادث الطلاق فى نفس العـام ٩,٠٠٠ طلاق أى بمعدل ٥٠ ٪ و بلغت عقود الزواج فى المملكة المصرية فى سنة واحدة ٢٢٦,٥٧٦ مقابل ٦٨٠,٥٥ طلاقا أى بنسبة ٣٣ ٪ تقريبا .

وقد أشار الوزير إلى عامل من العوامل التى تهدم الأسرة فى مصر بهـذه النسبة المخيفة وهو سهولة الطلاق ، ولذلك نشطت وزارة الشؤون الاجتماعية فى بحث مشروع قانون سابق لتقييد حرية الطلاق مع مراعاة القواعد الإسلامية .

ومثل هذا القانون قد يكون علاجا لكثير من هذه الحالات ، ولكن المشكلة فى صميمها أعم من سهولة الطلاق أو صعوبته . فسهولة الطلاق كانت قائمة فى كل وقت ، ولكن كانت هناك قيود أدبية وخلقية واجتماعية تحول دون تفشى هذا الوباء .

فإذا شئنا أن نبحث عن العلة الحقيقية ، فلنبحث عنها فى البواعث الجديدة للاقدام على الطلاق — وهذه البواعث فى اعتقادنا — هى العوامل الآتية :

أولا — حالة الانحلال الخلقى التى يعانيها المجتمع فى هذه السنوات ، ولما كانت حالة الانحلال هذه أشد فى المدن منها فى القرى ، فقد كانت نسبة حالات الطلاق فى القاهرة خمسين فى المائة بينما هى فى المجموع نحو ٣٣ فى المائة ، فيجب أن يتجه الجهد إلى التقويم الخلقى العام بكل وسائل التقويم ولعل نشر الروح الدينية فى دور التعليم يكون من أقوى العوامل فى هذا المجال ، وإذا حسب بعض العابثين فينا والهازلين ممن يلمكون صحفا وأقلاما حذامة ، أن حكاية الدين هذه رجعية وجمود ، فليسمعوا مستر تشرشل وهو يقول فى خطابه الأخير " الدين هو العمخرة فى حياة الشعب البريطانى وطباعه التى يرتكز عليها ، فيجب أن يبقى هذا العنصر الأساسى فى برامج مدارسنا " .

ثانيا — وجود صحف مستهترة ، وأغان قذرة وروايات وأفلام حقيرة ، وكل هذا يساعد على الانحلال الخلقى وعلى التحلل من جميع القيود الأدبية من ناحية أخرى ، كما أن حالات الطلاق تصور فى هذه المجلات على أنها سمة الطبقة الراقية ! ولهذا أثره النفسى الذى لا ينكر فى الإقدام على الطلاق .

ثالثا — الاضطراب الذى يصاحب فترات الانتقال ، ويكفى أن نذكر مظهرا واحدا من مظاهر هذا الاضطراب ، فى الصراع بين الفتاة المتعلمة وبين التقاليد الزوجية ، فهذه الفتاة تقفز قفزات سريعة لم تتهيأ لها نفس الرجل ولا مستوى الحياة العائلية ، وتتعلق فى سلوكها بأذيال المرأة الأوربية الجامحة لا المرأة الأوربية المعتدلة ، وينتهى هذا الصراع غالبا بالطلاق لاستحالة الحياة فى جو من الاضطراب بين القديم والجديد .

يجب إذن أن نبحث العلة من أساسها فى صميم المجتمع حتى نصل إلى علاج شامل لا إلى مسكن وقتى قد يفيد فى بعض الحالات ، ولكنه لا يفيد فى جميع الحالات .

(٤)

ثم وضع معالى الوزير أصبعه على موطن الداء الحقيقى لجميع ما يقاسيه المجتمع المصرى اليوم من الانحلال الذى تظهر أعراضه فى الطفولة المشردة وتحطيم الأسرة ، والجهل والمرض ، وسائر الأعراض فقال :

" إن من أسباب تدهور الأخلاق فى مصر الفقر . وأهم أسبابه سوء توزيع الثروة ، فإن الثروة فى مصر موزعة توزيعا عجيبا ، لأن الذين يملكون ٥٥ ٪ من ثروة البلد هم ١٢٠٠٠ شخص ، وباقى الستة عشر مليونا يملكون ٤٥ ٪ من الثروة ...

"ولقد رأيت ضرورة معالجة هذا ، ولما كانت الدول الأخرى قد لجأت إلى حلول لا تتفق مع الشريعة الإسلامية ، كان لا بد من حل هذه المشكلة حلا آخر . وقد وجدت أن هناك ثلاثة ملايين فدان لم تزرع ، وأن لدى الحكومة ٣٠٠ ألف فدان تؤجرها لحسابها ، فاقترحت أن توزع هذه الأرض على الفقراء بواقع ٥ أفدنة لكل عائلة ، يقسط ثمنها على خمسين عاما . وقد أقرنى الوزراء على رأيى جزاهم الله عن الأمة خيرا ؛ فأصبح هذا عهدا لا بين وزارتى وبين الأمة ، بل بين الحكومة وبين الأمة .

"كما أننى رأيت ألا بد من ضرورة وجود نظام التأمين الاجتماعى ضد الشيخوخة والوفاة . فالعامل الذى يموت ويترك أسرة لا تدرى ما مصيرها بعده أو العامل الذى يترك العمل لكبر سنه كيف يعيش ؟ . إن هذا أمر من الظلم الاجتماعى تركه بدون علاج ، بل العدالة الإجتماعية تقضى بأن يكون فى مقدمة إصلاحاتنا الإجتماعية " .

يجب أن نقف طويلا أمام هذه الفقرات ، فالذى يقولها هو وزير مسئول فى وزارة قائمة ؛ ومعنى هذا أنها مصوغة فى القالب الدقيق ، وفى أضيق الحدود الممكنة ؛ فهى إذن وليدة ضغط التيار الإجتماعى الذى لا بد من تلبيته والاهتمام باتجاهاته .

نريد أن نقف أمام موضوع الضمانات الاجتماعية المقترحة فهذا معقول جدا فى الوقت الذى تتقدم فيه الحكومة الانجليزية بمشروع " بيفردج " ويتقدم فيه الرئيس روزفلت بمشروع التأمين الإجتماعى . فالعصر لم يعد يتحمل التلكؤ فى الإصلاح الاجتماعى ، ولا بد من عمل واضح ملموس .

ونريد أن نقف أمام مسألة الأراضى الصالحة والأراضى التى يمكن إصلاحها . فأما عن الأولى فنحن نرجو أن توزع جميعها على صغار الفلاحين ، وألا يباح شراؤها لسواهم

بأى حال ، وأن توضع الضمانات التى تجعل هـذا قاعدة لسياسة دائمة لا تتأثر باختلاف الوزارات .

والحجة الوحيدة التى يتذرع بها بعض من يعيشون بعقلية القرون الماضية فى بيع هذه الأراضى لغير صغار الفلاحين أن هؤلاء يؤدون ثمنها على أقساط طويلة متباعدة ومصلحة الخزانة فى أن تبيعها بأثمان حاضرة ، وأنهم لا يستغلونها كما يستغلها كبار الملاك القادرون على الانفاق والاستغلال .

والشطر الأول من هذه الحجة لا يستحق المناقشة فى ضوء العقلية الاجتماعية الجديدة . فمصلحة الخزانة القريبة لا يجوز أن توزن بمصلحة ألوف العائلات التى ستنتقل من وضع اجتماعى إلى وضع آخر يتفق مع الرقى الاجتماعى .

والشطر الثانى له وجاهته ، ولكن هذا العيب ليس مستعصيا على العلاج ، ففى الوسع جعل التعاون اجباريا فى هذه الأراضى المستصلحة ، وإمداد فلاحيها المتعاونين بالسلف الزراعية فى صورة آلات زراعية وبذور وسماد بشروط هينة . وبذلك ندرك غرضين بل جملة أغراض . فنستغل هذه الأرض أحسن استغلال ، وننشر حركة التعاون ونظام المزارع الجماعية مع ثبوت حق الملكية الفردية ، ونصل إلى الغرض الاجتماعى الذى يرمى إليه التوزيع .

وأما الأراضى القابلة للاستصلاح فإن أمرها سيطول ، لأنها مرهونة بقدرة الخزانة على نفقات الاستصلاح . ولقد سمعت مرة لمعالى الوزير رأيا جريئا ولكنه سديد . سمعته يقول : إنه من الممكن عقد سلف كبيرة لاستصلاح هذه الأراضى التى تضاعف ثروة البلاد حين يتم استصلاحها .

فما الذى يمنع أن يوضع هذا الرأى موضع التنفيذ ؟ إن فى البلد الآن أكداسا من المال بسبب الظروف الاستثنائية ، فلو وضعت مشروعات تامة عن استصلاح الأراضى وطرحت فى السوق قروض داخلية لجذبت هذه الملايين المكدسة التى يخشى أن تفضى إلى حالة تضخم بل لو استدعى الحال أن تعرض قروض خارجية لكان الأساس صالحا أو قابلا للدراسة والتنفيذ على الأقل فى الحدود الاقتصادية المأمونة .

إن حالة تزايد السكان وتناقص الثروة تحتم علينا أن نفكر فى مثل هذه الحلول بجانب ما نفكر فيه من المشروعات الصناعية الأخرى . وثلاثة ملايين فدان جديدة تبدو كحلم من الأحلام ، ولكنه حلم مضىء فى ظلام هذا الفقر الذى نعانيه .

على ضوء بيان وزير المالية

الطرق العملية لاستغلال منابع الثروة القومية — الأسباب القومية والاقتصادية والاجتماعية الموجبة لهذا الاستغلال .

جاء فى البيان الذى ألقاه معالى وزير المالية فى البرلمان وقدم به مشروع ميزانية الدولة عن السنة المالية القادمة هذه الفقرات :

"إن السياسة المالية بعد الحرب سيكون أساسها العمل على زيادة الثروة الأهلية بتعميم وسائل المواصلات والرى والصرف، واستصلاح الأراضى البور وتقسيمها وبيعها، وبتشجيع الإنتاج الزراعى والصناعى وبالأخص الصناعات الزراعية ، والتوسع فى استغلال الموارد الأهلية والكنوز المدفونة فى باطن الكثير من مناطق القطر وخاصة الصحراوية منها ، مما سيترتب عليه توفير العمل لألوف كثيرة من العمال المصريين الذين يشتغلون الآن بالأعمال التى لها ارتباط بالأحوال الموقوتة الحاضرة . وفى هذا مايطمئن القائلين بأننا سنقابل بعد الحرب أزمة عطلة يتعذر علاجها" .

وهذا كلام مطمئن بما يدل عليه من التيقظ الى المشكلات التى ستواجهنا بعد الحرب ، وبما يبشر به من استغلال الكنوز المدفونة التى ترفع من نسبة الثراء القومى الحالى ، وتعين على رفع الدخل الفردى عند ارتفاع الدخل العام . وفى مصر من هذه الكنوز ، وأمامها من الفرص ، ما يجعلها لو استطاعت استغلالها وانتهازها ، أمة غنية ، أو على الأقل أمة لا يهبط متوسط الدخل الفردى فيها الى تسعة جنيهات فى العام .

ولا شك فى أن هذه الموارد التى تناولها بيان وزير المالية وأمثالها موارد غنية ولا تزال فى الوقت نفسه بكرا لم تمس إلا قليلا ؛ وكل مورد منها تقوم على أساسه ثروة أمة بأسرها فى بعض الأحيان . فمورد الصناعات الزراعية مثلا تقوم عليه ثروة بلد كالدانمارك ، ومع أن مساحتها المزروعة لا تزيد على ربع المساحة المزروعة فى مصر ، وعدد سكانها لا يبلغ ربع سكان مصر ، فان صادراتها ومعظمها من الصناعات الزراعية تساوى أكثر من خمسين مليونا من الجنيهات فى العام. ومورد الكنوز المدفونة فى باطن الأرض — وقد اتضح أن

لدينا منها كميات متفاوتة من البترول والحديد والمنجنيز والطلق والفوسفات والولفرام والقصدير والرصاص والزنك والكروم والطرون والذهب والموليبدنيت والنيكل والكبريت والكاولين والشب والرمل الأسود — هذا المورد كفيل حين يتم استغلاله بإعاشة أمة صغيرة أو على الأقل برفع ثروة أمة متوسطة كمصر . وكهربة خزان أسوان وما تغله من السماد ومن استغلال مناجم الحديد ومن تزويد البلاد بالقوة الكهربائية لإدارة المصانع والشبكات الحديدية مورد آخر من هذه الموارد الضخام .

وإن مصر لمهيأة بما تملك من وسائل الثروة والاستغلال ان تغدو أمة كبيرة عظيمة ، وأن تؤدى دورها فى الشرق على أحسن ما يكون ، وأن تلقى زيادة السكان فيها بقلب مطمئن ، طالما أنها تستطيع إعاشتهم فكثرة السكان ضرورية لكل دولة تريد أن تنال مكانها اللائق ، والخطر الوحيد فيها هو خطر الفقر فإذا انتفى هذا الخطر كانت الزيادة خيرا وبركة ، وإذا وجد لم يكن بد من وقف نمو السكان أو فتح أبواب الهجرة الطبيعية فى وجوههم . وذلك موضوع آخر لا نعرض له الآن .

ولكن يلاحظ أن مجموعة هذه المشروعات الممكنة تحتاج إلى مبلغ ضخم جدا ، ويكفى أن نذكر أن استصلاح جميع الأراضى البور القابلة للزراعة بما فى ذلك مشروعات الرى اللازمة لها قد تبلغ حوالى مئتى مليون جنيه ؛ وأن كهربة خزان أسوان واستغلالها ، واستخراج الحديد فى منطقته وصناعة السماد اللازم قد تتجاوز تكاليفها العشرين مليونا من الجنيهات ، وأن إدخال الصناعات الزراعية على نحو ما هو معمول به فى الدانمارك وهولاندا واستراليا وأمريكا قد يكلف خمسة وعشرين مليونا . وهكذا إذا شئنا أن نصل فى وقت معقول إلى ذروة الإنتاج والاستغلال (هذا الوقت المعقول فى نظرنا لا ينبغى أن يزيد على خمسة وعشرين عاما بعد الحرب) ؛ فاذا قدرنا أن مجموعة المبالغ المطلوبة حوالى ثلثمائة مليون جنيه ، فمعنى هذا أنه ينبغى أن يرصد فى العام الواحد نحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، وهو ما تعجز عنه المالية المصرية فى وضعها الحاضر بكل تأكيد ، ولا سيما أنها مطالبة بزيادة الخدمات العامة والإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية العاجلة .

وليس معنى هذا أن نيأس أو أن نسير بخطا السلحفاة ؛ فان هناك طرقا لتوفير هذا المال متى وضعت سياسة ثابتة دائمة مقسمة إلى خمس مراحل ، كل مرحلة منها يوضع لها مشروع السنوات الخمس فى شتى الاتجاهات وعلى سبيل المثال نذكر بعض الطرق التى تتوافر بها هذه الأموال .

أولا — القروض الداخلية : زاد ورق النقد المتداول فى البلاد الآن من نحو ثلاثين مليونا من الجنيهات قبل الحرب إلى نحو ثمانين مليونا من الجنيهات . ومعنى هذا أن هناك

حالة رخاء فى البلد تمدّر بنحو هذا الفرق — إذا استثنينا عوامل أخرى تؤثر فى زيادة النقد ولا تحسب دليلا على رخاء حقيقى ولكنها عوامل محدودة على كل حال . وحالة الرخاء الحالية لا شك فيها كما يقول وزير المالية فى بيانه الأخير .

ولهذه الحالة أسبابها من قلة الاستيراد ، وانعدام السفر إلى الخارج ، وورود كميات من النقود الأجنبية بسبب ما تنفقه القوات الكثيرة فى مصر ..... الخ

ويقابل هذه الزيادة فى النقد وهذا الرخاء المادى (الذى تتمتع به بعض الطبقات القليلة فى مصر) أن مجال الاستغلال ضيق إلى حدّ ما ، وأن فائدة الأموال قد نقصت إلى حد كبير ، فلما عرضت الحكومة قرض القطن تراحمت عليه الأموال وغطى ثلاث مرات فى يومين .

ولهذه الحالة دلالتها التى لا شك فيها . فهى فرصة لعقد القروض الحكومية بسعر رخيص منذ الآن استعدادا لاستغلالها فى موارد تنمية الثروة العامة بعد الحرب . وليست هذه عملية خاسرة فيما نعتقد ، فإن الحكومة تستطيع أن تجد قرضا داخليا بعشرة ملايين جنيه مثلا بسعر واحد فى المائة أو أكثر قليلا ، فإذا فرضنا أن هذه النقود ستبقى ثلاث سنوات (المدة المنتظرة للحرب على الأكثر) بدون استغلال فسيبلغ مجموع فوائدها أكثر قليلا من ٣ فى المائة ، وهو أقل سعر يمكن الحكومة أن تقترض به بعد الحرب .

على أنه إذا أريد الاحتياط التام ، فإن الحكومة — إذا وضعت برنامجا معينا لاستغلال الموارد المصرية — تستطيع أن تعقد القروض الداخلية فى السنة الأخيرة للحرب — حسبما يبدو من الظروف — وبذلك لا ندع الاموال المكدسة الآن تتسرب إلى الخارج ، ومنها نحو ستين مليونا من الجنيهات قد دخلت إلى مصر فى سنى الحرب الثلاثة ، وسيزيد هذا الرقم فى نهاية الحرب كما تدل جميع القرائن والأحوال .

ثانيا — تكوين الشركات المساهمة باشتراك الحكومة : وهى طريقة أكثر اقتصادا وأشد ضمانا . فتدرس المشروعات الاستغلالية واحدا واحدا ، ويقدر رأس المال اللازم لاستغلالها ، ثم تؤلف شركة مساهمة تطرح أسهمها فى السوق ، وتحتفظ الحكومة لنفسها بواحد وخمسين فى المائة من الأسهم حتى تضمن لنفسها الإشراف وتجعل الأولوية فى المساهمة لرؤوس الأموال المصرية حتى لا تقع فى الغلطة التى وقعنا فيها قبل النهضة الأخيرة .

ومعنى هذا المشروع أن أقل من نصف الأموال اللازمة للاستغلال يواجد فى المائة سينحط عن كاهل الميزانية ويضطلع به كاهل الثروة القومية المكدسة والثروة الأجنبية

الداخلية ، وهـذه وتلك يخشى عنيهـا من التسرب إلى الخارج عقب الحرب بسبب البرامج الإنشائية الكبرى التى تنوى الدول العظمى القيام بها فى أوربا وأمريكا لملافاة حالة الخراب والدمار التى سببتها الحرب ، ولمكافحة التعطل بعد تسريح الجيوش الجرارة . هذه المشروعات الضخمة التى تحضرها انجلترا وأمريكا منذ الآن !

ثالثا — القروض الخارجية : ولا يصح أن نلجأ إليهـا إلا عنـد الضرورة القصوى لسببين : الأول أنه لا ينبغى أن نزيد فى أرقام الدين العام ونحن نملك وسائل اقتصادية أخرى تقينا هذه الزيادة . وإن كانت القروض الخارجية ليست من البشاعة كما نتصورها بالقياس إلى ما ذقناه فى تاريخنا القومى من مرارتها فلم يكن العيب هو عيب الاقتراض الخارجى إنما كان عيب الاستغلال السيء والفوضى المـالية والمطامع السياسية التى كانت كامنة وراء الإقراض . أما القرض فى ذاته فهو وسيلة دولية معترف بهـا ونفعها فى الغالب أكثر من ضررها . ومع هذا فنحن لا ننصح بها الا فى حالة تعذر الوسيلتين السابقتين . والسبب الثانى أن فائدة الأموال ربما ترتفع بعـد الحرب بسبب حركة التعمير التى ستزيد فى جميع أرجاء العالم وبسبب ما ينتظر من إطلاق حرية التعامل وترك سياسة الاكتفاء الذاتى التى سببت كثيرا من المشاكل الاقتصادية والسياسية فى العشرين عاما الأخيرة . ومعنى زيادة الفائدة أن عبء القرض سيكون أثقل وأن استغلاله فى المشروعات يكون محفوفا بالأخطار . فمتى أمكن أن نستغنى عن الاقتراض الخارجى فيجب ألا نلجأ إليه فى مثل هذه الأحوال .

رابعا — فرض ضرائب خاصة : وهـذه الوسيلة تأتى بعـد استنفاد الوسائل الثلاثة الماضية . فنحن فى حاجة بسبب حركة الإصـلاح الاجتماعى والصحى والتعليمى أن نزيد من عبء الضرائب العادية على بعض الطبقات ولا مفر للدول من سلوك هذا الطريق إذا شاءت أن يكون هذا الإصلاح جديا معقولا ، تلاحق به بعض خطوات المشروعات العالمية الضخمة كمشروع بيفردج ومشروع روزيفلت . وهذه الزيادة — كما هو منتظر — تستنفد مقدرة دافعى الضرائب من جميع الطبقات ، فيصبح من العسير فى هذه الحالة فرض ضرائب خاصة لجمع مبالغ تستغل فى مشروعات الاستغلال .

ولكن هذا لا ينفى أن نلجأ الدولة الى هـذه الوسيلة أخيرا عند الاضـطرار ، فهى على كل حال خير من ترك منابع الثروة المصرية بدون استغلال ، هذه المنابع التى تنتظر أن تغير موقف البلاد المصرية من حال الى حال .

خامسا — بتوفير مبالغ معينة كل عام ورصـدها لمشروعات الاستغلال بعد الحرب ، على نحو المليون جنيه التى رصدت للسكة الحديدية فى ميزانية هذا العام . ولكنها و إن تكن المبالغ المنتظر رصدها من الميزانية قليلة ، ولكنها تساعد على كل حال .

إن هناك من الأسباب ما يوجب علينا التفكير فى هذه الوسائل العملية منذ الآن ، لإعداد المبالغ اللازمة لاستغلال كنوزنا المهملة ، وهذه الأسباب بعضها حاضر الآن وبعضها منتظر فى المستقبل القريب . كما أن بعضها قومى وبعضها اجتماعى ، وبعضها اقتصادى . وجميعها تتضافر على التفكير الجدى منذ الآن وفى اختصار تام سنعرض لمختلف هذه الأسباب.

الأسباب الحاضرة :

نحن من الفقراء ، وعن هـذا الفقر تنشأ جميع أمراضنا الاجتماعيـة ، ولا أريد أن أسهب فى وصف حالة الطبقات الفقيرة فأعداد هذه المجلة حافلة منذ نشأتها بهذه الأوصاف ، ولكنى أكتفى بفقرات من مقال للأستاذ محمد بك خطاب نشر قريبا فى جريدة الأهرام .

"مصر بلد لا يملك ٧٥ ٪ من أهله قوت يومهم إلا إذا كدوا وعملوا ليكسبوا هـذا القوت والأغلبية الساحقة من هذه النسبة لا تملك إلا جلبابا واحدا ، ولا سبيل لهم الى التعليم أو الصحة ، أو إلى جزء مشروع من فراغ يقضونه فى تسلية مفيـدة أو فى ممارسة بعض الرياضة . هؤلاء المصريون يولدون وأول عثرة فى سبيلهم فى الحياة هى الحياة نفسها لأن وفيات الأطفال فى مصر بين الفقراء تسجل رقما قياسيا إن لم يكن عاليا فهو قريب منه . فاذا سلم الطفل من الموت عند الولادة واجه العقبة الثانية فى الحياة وهو التعليم . فإذا تمكن بمعجزة من المعجزات أن يتعلم فأمامه العقبة الكبرى وهى وسيلته الى الحياة العملية وهو فى كل هذه المراحل يغالب الجوع والفاقة والمرض الى أن يموت فقيرا" .

هذه صورة سريعة مكتملة لحالة البلاد ، فمن الواجب اذا أن تتغير هذه الصورة سريعا ، ولدينا من الوسائل ما يكفل تغييرها ، وعندنا من منابع الثروة ما يضمن تبديلها . فلا يجوز أن نقف مكتوفى الأيدى ونترك ثرواتنا مدفونة فى التراب أو ضائعة فى الهواء أو نهبا لسوانا ممن يحسنون الاستغلال ، بحجة أن ليست لدينا الأموال الكافية لهذا الاستغلال.

الأسباب المنتظرة :

شعب مصر شعب ولود ، وعلى الرغم مما يقال عن أزمة الزواج ، فإن هـذا الشعب يتضاعف كل خمسين عاما ، ولا مفر من هذا ووراثة هـذا الشعب التاريخية والأسطورية تدعوه الى التوالد والانسال ، وحالة الجهل التى تسيطر عليه تجعل هـذه العملية فطرية آلية لا يتدخل فيها عامل من عوامل التنظيم والتحديد .

فعلينا أن نستعد إذن لمواجهة زيادة السكان بهـذه النسبة المقلقة ، وأن نهيئ لها وسائل الرزق والحياة ، ووسائل العمل التى تقينا مغبـة البطالة . ولا نحتاج أن نقول : إن

وسائل الرزق ومرافق العمل الحاضرة تضيق بالسكان الآن ، وينشأ عن ضيقها هذا الفقر وهذا التعطل الذى نعالجه بغاية المشقة . فإذا تضاعف هذا العدد أو زاد تضاعفت المشكلة وتعذرت الحياة .

وكل هذا يحتم علينا أن نفجر ينابيع الثروة الجديدة ، وأن نوسع مرافق العمل الجديدة لتستوعب هذه وتلك زيادة السكان التى تتضاعف عاما بعد عام .

ومن الواجب أن ننبه هنا مرة أخرى على أن زيادة السكان ليست شرا فى ذاتها ، بل هى خير تدعو اليه الشعوب الحية وكلنا يعلم مقدار التشجيع الذى كانت تبذله ألمانيا وايطاليا واليابان لزيادة النسل . والوسائل التى كانت تكافح بها فرنسا قبل الحرب مشكلة تناقص السكان حتى لقد أعلنت بابتهاج بعد كارثة التسليم أنه لأول مرة منذ حرب السبعين يزيد معدل المواليد على معدل الوفيات . ثم ها هو ذا مستر تشرشل فى خطابه الأخير يتحدث عن هذا الأمر فيقول وهو يشرح برنامج السنوات الأربع بعد الحرب :

"وهناك مسألة تشغل بال الذين ينظرون إلى ثلاثين أو خمسين سنة مقبلة ، وأعنى بها نقص المواليد ؛ فإذا كانت هذه البلاد تريد الاحتفاظ بمركزها السامى بين أمم العالم ، وبالحياة كدولة عظيمة تستطيع مقاومة كل ضغط من الخارج ، فإنه يجب أن يشجع أهلها بقدر الوسائل على الإكثار من النسل" .

والخلاصة لهذا كله أن زيادة النسل ليست شرا فى ذاتها . ولكنها تكون شرا أكيدا إذا كانت موارد البلاد تضيق بها ، وإذا كانت لا تجد كفايتها من الغذاء والدواء والتعليم . وفى وسعنا نحن أن نجنى خير هذه الزيادة ونتقى شرها ، إذا هيأنا الطرق العملية لاستغلال ثروتنا الضائعة فى كل مكان .

الأسباب القومية :

من مطالعة الفقرات التى أثبتناها هنا من خطاب مستر تشرشل نستشف الأسباب القومية التى تدعونا إلى توفير الموارد للانتفاع بزيادة السكان . وقد تختلف ظروفنا عن ظروف انجلترا . ولكن القاعدة العامة التى نخرج بها من هذه الحرب هى أن المستقبل للقوميات الكبيرة .

ومصر تقف اليوم فى مقدمة صف طويل من الشقيقات الصغيرات ؛ وقد هيأ لها أن تقف هذا الموقف فضلا على موقعها الجغرافى عاملان : أحدهما زيادة تعدادها بالنسبة لهذه الشقيقات ، وثانيهما عظم ثروتها بالنسبة لها أيضا . فهذان العاملان هما اللذان

اللبن
وانتفاع ربة البيت به

للدكتور أمين محمد السكرى
المدرس بكلية الزراعة

" ألقيت هذه المحاضرة العلمية القيمة من محطة الاذاعة اللاسلكية " .

سيداتى ، سادتى

كلمتى الليلة ستكون كما سمعتم الآن . عن الوسائل التى يمكن لربة البيت بواسطتها أن تنتفع باللبن لأقصى حد وبطرق يستسيغها الكبار والصغار .

والمتحدث فى هذا الموضوع تدفعه لذلك جملة دوافع أهمها اثنان :

أولها — هو الدعاية لاستهلاك اللبن على مدى واسع .

وثانيهما — هو حل بعض مشاكلنا المنزلية .

أما الدعاية الواسعة لاستهلاك اللبن ، فليس هذا لمصلحة شخصية — فما أنا بتاجر لبن أو منتج له — ولكن لمصلحة الوطن الخالصة بتنشئة جيل قوى العضد ، سليم الجسم والعقل معا . ذلك لأن اللبن هو أكسير الحياة ، وباعث الحيوية . هو الغذاء الكامل الوحيد بين ما وهبنا الله من أغذية طبيعية وما تصنعه أيدينا من أطعمة صناعية .

معذرة سيداتى . فان أثقل مسامعكن بحديث طويل تمججنه . ولذا فان أجل باب الإقناع بتلك النظريات العلمية العميقة عن اللبن وقيمته الغذائية ، وذلك كى لا تتسابق أيديكن إلى مفاتيح الراديو لإطفائه . وأظل أنا هنا بين جدران الاستوديو الأربعة أتحدث إلى حضرة المذيع وحده . فليس هذا كل قصدى بالحديث . إنما أقصد أن يصل صوتى اليكن جميعا . فهل أجد منكن انصاتا ؟ !

يكفينى فقط حضرات المستمعات أن أقول لكن إن رطلا واحدا من اللبن تتناوله يصل فيه إلى أجسامنا حوالى ١٧ جم من اللحم الجيد بسعر أقل كثيرا من التسعيرة وبدون حاجة إلى التزاحم على باب الجزار . وست قطع من السكر الماكينة بدون بطاقة طبعا . و ٢٥ جم من الدهن سهل الهضم . هذا كله علاوة على كمية لا يستهان بها من الأملاح اللازمة للجسم وجميع الفيتامينات الضرورية .

فبالله أى غذاء يحمل كل تلك الضروريات ؟ ، لعمرى لم أكتشف مثل هذا بعد ؟ ! ، فلا عجب إذن أن يعتبر مدى استهلاكه فى بلد ما مقياسا لمستواها من الرقى . ولا عجب إذن أن تطلع علينا الجرائد يوما وفيها التصريح الآتى لمستر Wallalce نائب رئيس الجمهورية الأمريكية حيث يقول : " وان نعتبر أن أمريكا قد قامت بنصيبها إلا بعد أن يستطيع تسعة أعشار البالغين القراءة والكتابة . ويحصل كل طفل فى العالم على لتر من اللبن يوميا " أى رطلين وربع .

يالله ! ما هذا الغذاء الذى سيكون من أسس الأنظمة الديموقراطية للعالم بعد الحرب ، أن يحصل كل فرد فى أنحاء المعمورة على قسطه الضرورى منه ؟ ؟ ألهذا الحد بلغت أهميته حتى يشغل تفكير سادة العالم وقادته ؟ !

سيداتى : إليكن شهادة من إحدى بنات جنسكن عن اللبن وقيمته الكبرى . فقد كتبت إحداهن فى إحدى المجلات تقول " هنالك فرق شاسع بين التمثيل على المسرح والتمثيل أمام الكاميرا ، فأضواء المسرح الأخاذة تخدع العين البشرية عن كثير من المعايب فى جسم الممثلة . أما الأضواء التى تعمل عليها الكاميرا فتظهر بلا رحمة ولا هوادة — بل قد تبالغ فى إظهار كل عيب كأدق تجعيد فى الوجه ، وتبدى معالم التعب على العين وأدق ظل أو تجويف فى الخدود .

لهذا فممثلة السينما يجب أن تكون دائما ذات وجه وقوام خاليين تماما من كل عيب جسمانى ، وهى دائما باذلة جهدها لإخفاء معالم الإعياء حتى تبدو على أجمل مظهر لها رغما من الجو المضنى وطول ساعات العمل والمشاغل العائلية .

ولقد اكتشفت ثلاث وسائل لمغالبة عناء العمل فى السينما ، وهذه هى : الراحة التامة والرياضة فى الهواء الطلق وشرب الكثير من اللبن .

فاللبن كما نعرف جميعا يحوى جميع العناصر الضرورية للصحة والتغذية .

وأنا طبعا لا أعيش على اللبن وحده ، ففطورى يتكون من الفاكهة والقهوة . وأتناول مع غذائى الخفيف شيئا من السلاد ثم خضارا طازجا فى المساء .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا آخذ أولى كوباتى من اللبن ثم أشرب منه وقت الغذاء رطلا كاملا ، وكثيرا ما أسرع إلى كوبة أخرى بعد الظهر إذا كنت اعمل جاهدة . ولم يفتنى أبدا أن أتناول ذلك الفنجان الكبير من اللبن الدافىء قبل أن أنام .

وإنى لسعيدة جدا بذلك حيث أجده يعطينى بشرة ناصعة . وخدودا ممتلئة ويحسن مظهرى إطلاقا دون أن يزيد وزنى رطلا واحدا " .

هذا هو سر نجاح هذه الممثلة ذائعة الصيت قد كشفتنا عنه فى صراحة تامة . ويوجد عدا هـذا من الأدلة والحجج على ما للبن من قيمة غذائية الكثير من ممتع المعلومات وجلى الحقائق .

فقى تجربة أجرتها لجنة الأبحاث الطبية بانجلترا على تلاميذ المدارس . وجدوا أن الأطفال الذين تناول كل منهم رطلا من اللبن يوميا بالمدرسة . كان متوسط الزيادة السنوية فى وزن الفرد أعلى بثلاثة أرطال والزيادة فى ارتفاع كل أكثر بثلاثة أرباع البوصة عن متوسط الزيادة فى وزن وارتفاع الأطفال الذين لم يصرف لهم لبن بالمرة .

مما سبق يمكننا أن نلمس الفائدة العظمى التى تعود علينا لو توصلنا أن نكون شعبا ميالا للبن . ومن هذا أيضا يتضح الدافع الذى حدا بمستر Wallalec أن يصرح التصريح سالف الذكر . رغبة منه بلا شك فى خلق عالم جديد يسلم جسم أفراده . فترق عقولهم ولا يدفع العالم بنفسه إلى مهالك الحروب . ولا تتكرر تلك المأساة .

أما الدافع الثانى لهذا الحديث . فهو الرغبة الأكيدة فى مساعدة سيدة المنزل بإمدادها بالمعلومات التى تمكنها من تنويع التصور التى تقدم عليها اللبن . وبهذا نحل مشكلتين من مشاكل المنزل المعقدة .

فالمشكلة الأولى — وهى زهد الكثيرين منا فى اللبن ومنتجاته العادية كالجبن والزبد — تحل بتقديمه فى صورة مطبوخات شهية يقبل عليها الجميع . فنال السيدة بذلك تقدير زوجها وشكره ، كما أن سرورها يكون عظيما عند ما تجلس إلى مائدة أطفالها فترى منهم ذلك الإقبال الملحوظ على تناول وجبتهم الضرورية من اللبن ، دون حاجة إلى ذلك المجهود الشاق الذى تبذله فى ترغيبهم بشتى المغريات وتخويفهم بمختلف الإنذارات كلما قدمت لهم قدح اللبن الذى تعلم هى ضرورته لهم ويظنونه أشد وسائل العقاب والتعذيب .

أما المشكلة الثانية وهى الحيرة فى كيفية تنويع الأكلات فتحل بإضافة أصناف جديدة إلى قائمة وجباتنا الغذائية — وما أفقرها هذه الأيام ، فكم من أصناف شهية قد اختفت من مائدتنا بسبب الحرب . إما لتعذر استيراد خاماتها من الخارج أو لارتفاع تكاليف طهيها — فبإضافة تلك القائمة الجديدة من المطبوخات اللبنية . يتوفر على السيدة كثير من مجهود التساؤل المعهود يوميا " ماذا أطبخ اليوم للرجل والأولاد ؟ " .

وليكن سيداتى طريقة صنع صنفين من تلك المطبوخات . فهيا وأحضرن ورقة وقلما . أنا فى الانتظار :

الصنف الأول :

السمك باللبن — قد تدهشين سيدتى من خلط السمك باللبن لما تكرر على مسامعك من القول السائر " لا تأكل السمك وتشرب اللبن " ولكن إليك هذا الصنف. جربيه. وأعدك بأنه سيتكرر مرارا على مائدتك فى الأسبوع الواحد خصوصا عند انعدام اللحم .

أعدى ما يأتى :

(١) رطل ونصف من السمك البياض .

(٢) رطل وربع من اللبن .

(٣) أوقية ونصف من الدقيق .

(٤) أوقية ونصف من السمن .

(٥) خرطى بصلتين .

(٦) رطل طماطم مقطع إلى شرائح .

اغسلى السمك ونظفيه وأخليه من العظام . سيحى السمن فى طاجن يسع الكميات السابقة . ثم اخلطيه جيدا بالبصل والدقيق . وصبى عليها اللبن مع التقليب المستمر . أضيفى قليلا من البهار والملح والفلفل . واغلى المخلوط ثلاث دقائق . عندئذ ضعى شرائح السمك والطماطم فيه وغطيه وضعيه فى الفرن بنار هادئة جدا مدة ثلث ساعة . وبذا يتم طهيه .

الصنف الثانى :

ويسمى "قالب فالنشيا" وهو صنف حلويات لذيذ جدا فى ختام الطعام . ولتحضيره أعدى المقادير الآتية :

(١) كوبتين كبيرتين من اللبن أى رطلا .

(٢) أوقيتين من الأرز المطحون .

(٣) أوقيتين من الزبيب .

(٤) عصير ليمونة .

(٥) بيضة .

(٦) أوقية سكر .

اغلى اللبن ثم ضعى الأرز المدقوق قليلا قليلا مع التقليب واتركيه يغلى مدة خمس دقائق. اضربى البيضة ثم أضيفيها مع السكر وعصير الليمونة إلى اللبن والأرز . وطبى القالب بالماء. ثم ضعى نصف الزبيب فى القاع وصبى عليه الخليط . ضعى القالب بما فيه محاطا بماء بارد حتى تجمد محتوياته . وعند تقديمه على المائدة وزعى مابقى من الزبيب حوله على جوانب الطبق .

هذان سيدتى صنفان شهيان من مطبوخات اللبن وهما ما اتسع الوقت لذكرهما. وهناك عشرات بل مئات الأصناف التى يدخل اللبن فى طهيها و يكون جزءا أساسيا منها . و إنى أعدك بشرح صنف أو اثنين منها كلما تحدثت إليك فى الاذاعة . حتى ولو لم يتعلق الحديث بالطهى .

ولا أريد أن أنهى حديثى هذا قبل أن أشير إلى عدة قواعد هامة فى تناول اللبن والاحتفاظ به فى المنزل .

لكى تحتفظى باللبن طازجا دون تلف وكذلك لكى تأمنى شر ما ينقله من أمراض، سارعى إلى غليه جيدا مع ملاحظة شيئين. أولها أن تقلبى اللبن بملعقة عندما يأخذ فى الغليان ولاتفعلى مايفعله الكثيرات من إطفاء الوابور بمجرد مشاهدتهن للرغوة والفوران . فهذه الرغوة كثيرا ماتحمل ميكروبات الأمراض بعيدة عن اللبن الذى يغلى ، فلا تصل الحرارة فى محيطها إلى درجة كافية لقتلها ، فالتقليب كفيل بأن يخلط الرغوة وما تحمله من ميكروبات بباقى اللبن ذى الحرارة العالية فتقتل .

أما الملاحظة الثانية فهى ألا تعيدى اللبن بعد غليه إلى الإناء الذى اشتريته فيه قبل غسله وتعقيمه ، لأنه قد يكون محملا بالميكروبات لما يحويه من بقايا اللبن قبل الغلى ، ضعى اللبن بعد ذلك فى مكان بارد وليس فى المطبخ، وغطيه دائما بغطاء محكم معقم منعا من وصول الذباب والحشرات إليه .

إذا كنت ممن يقبل على شرب اللبن فلا تشربيه دفعة واحدة ، بل خذيه قليلا قليلا أو استعملى لذلك ماصة، هذا لتعطى فرصة للعصير المعدى الذى يتفاعل معه، و يحسن كثيرا أن تتناولى معه قطعتين أو ثلاثا من قطع البسكويت أو الخبز، فهذا مما يزيد فائدة تعاطيه.

ولا تنسى سيدتى — قبل أن تنامى الليلة — أن تتناولى وعائلتك أقداحكم من اللبن الدافئ السائغ ، وهنيا لكم .

دكتور

أمين محمد السكرى

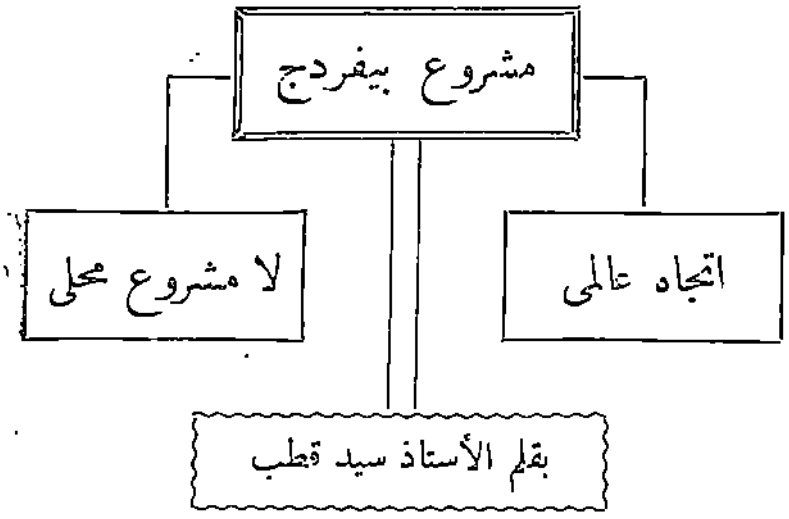

فى ضجة الحرب وزحمة الحوادث استطاع " تقرير بيفردج " أن يعلو على الضجة وأن يظهر فى الزحمة ، وأن يكون الشغل الشاغل لأمم العالم جميعا — على وجه التقريب — وعلى فى جملة الأمم .

ولم يكن لوزارة الشؤون الاجتماعية مفر من الاهتمام بهذا المشروع الذى يهز الشعور العالمى فى كل مكان ؛ فأخذت فى ترجمة التقرير توطئة للنظر فى محتوياته ، ومعرفة اتجاهه ومداه . وكان هذا أول واجب من واجبات الوزارة التى تضطلع بعبء الاصلاح الاجتماعى فى هذه البلاد .

ولكن جماعة من الناس لم يرق لهم أن تنظر الوزارة فى هذا المشروع مجرد نظر ، ولما لم يستطيعوا أن يظهروا بحقيقة نياتهم ، ولا بالبواعث الخفية التى تدعوهم لمحاربة مثل هذا الاتجاه الاجتماعى ، جعلوا يقولون : إننا يجب أن نقوم بالاصلاحات التمهيدية فى المجتمع المصرى قبل أن نتطلع إلى النظر فى مثل هذا المشروع !

وقد كان رد وزير الشؤون الاجتماعية على هذه النغمة العجيبة حاسما وصريحا فقال فى حديث له مع جريدة الأهرام :

"لا شك أن هذا المشروع يعد أعظم حادث اجتماعى وقع فى القرن العشرين ، ولهذا كان من أوجب الواجبات على وزارة الشؤون الاجتماعية بصفة خاصة أن توليه عناية خاصة وأن تدرسه دراسة دقيقة للوقوف على مدى ارتباطه بالتطورات الاجتماعية التى مرت بها بريطانيا حتى أدت إلى هذا المشروع . ولا تستطيع وزارة مطلوب منها التوفر على دراسة المشروعات الاجتماعية أن تغفل مثل هذا الحادث الاجتماعى الخطير"

ثم قال :

"ومن عجب أنى سمعت وقرأت توجيه اللوم الى وزارة الشؤون الاجتماعية لمبادرتها بترجمة المشروع وبحثه ؛ حتى لقد ذهبوا إلى حضها على وجوب تجاهله والانصراف عن بحثه . وهذا

بلا ريب نظرية غير مفهومة ، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول علماء المنطق ؛ فكيف يمكن اذن الحكم على المشروع قبل دراسته ، وقد حكموا عليه هم قبل قراءته "

وفى هذه الفقرة الأخيرة سخرية لاذعة بموقف غير مفهوم ؛ أما نحن فنحب أن نكشف موقف هؤلاء الناس فى ضوء مواقفهم الماضية فى كل ما من شأنه أن يحدث تعادلا — ولو خفيفا — بين الثروات و بين الأعباء العامة ؛ فبعض هؤلاء هم الذين حاربوا مشروع ضريبة التركات حتى خسرت الدولة بسبب تأخره نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات هى فى أمس الحاجة اليها لمواجهة الظروف الاستثنائية التى تجتازها البلاد ؛ وفريق آخر هم الذين حاولوا الوقوف فى وجه فرض الضريبة على الأرباح الاستثنائية وفى وجه تعديلها بعض الشيء فى هذا العام. وهم الذين يقول عنهم معالى وزير المالية فى البيان الذى قدم به الميزانية منذ شهر "

" أثار هذا القانون عند وضعه اعتراضات شديدة من جانب بعض الأوساط المالية والصناعية . ومن هذه الاعتراضات ما انصب على المبدأ فى ذاته فقيل : إنه تشريع اشتراكى النزعة تخشى مغبته ؛ وإن فيه اهدارا لمبدأ المساواة فى توزيع الضرائب على اعتبار أن تلك الضريبة تتناول أرباح التجارة والصناعة دون سائر أنواع الايراد الأخرى وعلى الأخص الأرباح الزراعية ، ومنها ما ينصرف الى ماقد يمكن أن يكون لهذه الضريبة من التأثير على الصناعات المصرية الناشئة ؛ فلما وضعت الحكومة أخيرا مشروع التعديل الجديد تجددت الاعتراضات وهى فى مجملها ذات الاعتراضات السابقة فيما سوى الاعتراض الخاص بما للقانون من نزعة اشتراكية فقد تلاشى أثره ، ولا يوجد اليوم انسان لا يسلم بأن الضريبة على الأرباح الاستثنائية هى أعدل الضرائب اطلاقا ، فان معظم الفضل فى كسبها يعود إلى ظروف الحرب وبديهى أن المؤمل ليس هو الذى أوجدها . وقد فرضتها جميع الأمم على اختلاف نزعاتها السياسية والاجتماعية ، ووصل سعرها فى بعض الاحيان إلى ٩٠ فى المائة ، بل إلى ١٠٠ فى المائة متى تجاوز الربح نسبة معينة " .

وكان هذا الرد من وزير المالية حاسما وصريحا كذلك ، لأن الاعتراض فى أساسه كان غير مفهوم ، أو مفهوما على ضوء مواقف هؤلاء المعارضين فى كل مرة من المرات .

* * *

ليس على الدولة إذن أن تقف عن دراسة مشروع كمشروع بيفردج ، ولا أن تعوق خطوات التشريعات الاجتماعية والاقتصادية . لأن جماعة من أصحاب المصلحة فى بقاء الحال على ما هو عليه يعارضون فى كل إجراء جديد يزيد من الأعباء المفروضة عليهم ، والتى يحتمل أضعافها جميع أمثالهم فى جميع البلاد .

ومع ذلك فسنحاول فى هذا المقال أن نبين أن مشروع بيفردج اتجاه عالمى إنسانى ، لا إجراء انجليزى محلى ، وأن كل بلاد العالم تسير فى هذا الطريق ، على اختلاف نظم هذه الأمم السياسية والاجتماعية. وان مصر لا بد أن ترقب هذا الاتجاه العالمى وأن تعمل بمقتضاه .

وقبل أن نتحدث عما تستطيع مصر أن تأخذ به من هـذا الاتجاه العام ، نذكر ملخصا وافيا لمشروع بيفردج استعنا فيه بخطبة مستر تشرشل الأخيرة ، و بمقالين كتبهما الدكتور مجد عوض مجد فى الثقافة ، و بالتقف التى نشرت عن المشروع فى شتى الصحف والمجلات ثم نذكر البواعث التى أوجدت هذا المشروع . ثم نعقب ببيان ما تستطيع مصر أن تنهض به على ضوئه .

١ — ملخص عن مشروع بيفردج :

يقوم المشروع على أساس "التأمين" لا على أساس الإعانة والفرق بين الأساسين ، أن الأول يلزم جميع الأفراد أن يساهموا فى رأس ماله . وأن تمد هذه المساهمة تأمينا منهم ضد الظروف التى يعينهم فيها ، وصحيح أن ما يساهمون به لا يكفى للانفاق على المشروع وأن الدولة تساهم بالقسط الأوفر ، ولكن التأمين وسداد أقساطه هما الأساس الذى يقوم عليه .

وهو يؤمن الأفراد فى حالات : التعطل ، والعجز ، والشيخوخة ، والترمل ، والولادة ، والتسل ، والمرض ، والوفاة ؛ و يقرر الإعانات التالية فى كل حالة من هذه الحالات .

أولا — فى حالة التعطل عن العمل : يمنح العامل ٥٦ شلنا فى الأسبوع . فاذا امتدت بطالته كلف الالتحاق بمركز للتدريب الصناعى ، ليدرب على عمل جديد يشتد الطلب اليه .

ثانيا — فى حالة العجز للإصابة بعاهة ناشئة عن العمل : يمنح العامل ٥٦ شلنا فى الأسبوع لمدة ثلاثة أشهر ثم يمنح معاشا دائما يعادل ثلثى أجره على ألا يزيد على ٧٦ شلنا ولا ينقص عن ٥٦ شلنا فى الأسبوع .

ثالثا — فى حالة العجز للإصابة بعاهة ليست ناشئة عن العمل : يمنح العامل ٥٦ شلنا فى الأسبوع بصفة دائمة .

رابعا — فى حالة الشيخوخة : يمنح العامل الذى بلغت سنه الى ٦٥ سنة ٤٠ شلنا فى الأسبوع .

خامسا — فى حالة الترمل : تمنح الزوجة التى توفى عنها زوجها ٤٠ شلنا فى الأسبوع لمدة ثلاثة عشر أسبوعاً على أن تلتحق بمعهد للتدريب ما دامت صحتها سليمة تمهيدا لتوليها عملا تقتات منه .

سادسا — فى حالة الولادة : تمنح الأم التى لا تشتغل مبلغ ٤ جنيهات ، وتمنح الأم العاملة ٣٦ شلنا لمدة ثلاثة عشر أسبوعا مع إعفائها من العمل فيها .

سابعا — فى حالة وجود أطفال فى الأسرة غير الطفل الأول : تمنح الأسرة ثمانية شلنات فى الأسبوع عن كل طفل .

ثامنا — فى حالة المرض : يمنح كل مريض بالمجان العلاج فى جميع المستشفيات ولدى الأطباء الإخصائيين كما يمنح حق الاقامة مدة النقاهة فى أحد المستشفيات أو إحدى المصحات .

تاسعا — فى حالة الوفاة : تمنح الأسرة عند وفاة أحد أفرادها عشرين جنيها مساعدة لها فى أزمتها .

وفى نظير تأمين كل فرد ضد جميع هـذه الأخطار التى تهدده فى الحياة أو الموت ، يؤدى فى كل أسبوع مبلغا لا يزيد على أربعة شلنات وربع ، ويؤدى صاحب العمل مثله ، ويسدد الجميع لخزانة الدولة لتنهض هى ببقية الأعباء .

البواعث التى دعت إلى المشروع :

من ميزات الشعب الإنجليزى أنه لا يثور ثورات انقلابيـة ، ولكنه يثور فى كل يوم ثورة صغيرة ! ومنذ انقلاب أو ثورة "كرومويل" عاش الشعب الإنجليزى عيشة هادئة حتى اليوم ، والسبب فى هذا الهدوء هو هذه الثورات الصغيرة التى تتم كل يوم ، والتى تتمشى فيها السلطات مع رغبات الشعب المتجددة ، ومع الظروف والمناسبات المتجددة .

وفيما يختص بمشروع بيفردج بالذات كانت هنـاك عدة بواعث للتفكير فيه ولتحديد الاتجاه على السواء :

أولا — إنه يعد تطورا طبيعيـا لنظام التأمينات الاجتماعية الذى أخذت به انجلترا منذ عهد بعيد تلبية لرغبات الطبقة العاملة ، ووقاية للنظام الاجتماعى من التصدع ، وإذا كان مشروع بيفردج يكلف الدولة ٨٢٥ مليونا من الجنيهات ، فقـد كانت مشروعات التأمين السالفة تكلفها ٤٥٥ مليونا ، فاذا زاد المبلغ المطلوب هذه الزيادة ، وإذا اتسع نطاق التأمين حتى يشمل بعض الحالات التى لم يكن يشملها من قبل ، فذلك تدرج طبيعى لهـذا النظام حسب الظروف والمناسبات .

ثانيا — لو طلب هـذا المبلغ فى حالة السلم الماضية لكانت ضخامته سببا فى رفض المشروع ، بحجة أنه يحمل دافعى الضرائب تكاليف عظيمة مفاجئة ، ولكن ارتفاع نفقات الحرب حتى تبلغ خمسة عشر مليونا من الجنيهات فى اليوم ، وزيادة الضرائب لمواجهة هـذه الأعباء حتى لتبلغ نسبتها ٩٥ ٪ من الأرباح الاستثنائية ، ثم تمديد الدخل بعد ذلك بحيث لا يزيد عن ٤٢٠٠ جنيه فى السنة — كل ذلك يجعل المبلغ المطلوب لمشروع بيفردج و بتعبير

أصح الزيادة المطلوبة لتنفيذ هـذا المشروع تبدو صغيرة فى وسط ذلك الحضم من النفقات ـ فهى فرصة تنتهزها الدولة هناك لتخطو هذه الخطوة الحاسمة .

ثالثا — إن هذه الملايين التى تجند للمعركة الهائلة فى البر والبحر والجو، والتى تجود بأرواحها وتفارق أوطانها ، وتتحمل الويلات التى تصب عليها فى كل لحظة، وتتعرض لما لم يتعرض له بنو الإنسان من قبل على سطح هذه الكرة من الأحوال، هذه الملايين لم يكن بد من وجود أهداف مغرية تهون عليها مشقة هذه التضحيات . وقد بطلت الآن تلك المغريات التى كانت تقوم على مجد الدولة واتساع رقعتها وامتداد صيتها ولم يعد لها فى النفوس ما كان لها من الأثر فى العصور الخالية ، فلم يكن بد من جزاء جديد يوازى هذه التضحيات ؛ ذلك الجزاء هو الحياة فى عالم أفضل، وهو الأمن من الأزمات التى تهدد الحياة فى هذا العالم، ومشروع "بيفردج" يمثل هذا العالم الأفضل ، وهذه الحياة المأمونة ، ولم يكن منه بد لتقوية الروح المعنوية فى نفوس الشعوب التى تتعرض فى كل يوم للأهوال .

رابعا — وهناك مستقبل مخوف بعد نهاية الحرب ، ينذر بالتعطل والعجز عن العمل ـ متى تصورنا عودة هذه الملايين المجندة من الميادين القريبة والنائية ، وتصورنا وقف العمل فى مصانع التسليح والمصانع الحربية على العموم ، وهى التى تشغل ملايين الأيدى فى وقت الحرب . ومتى تذكرنا أن مشكلة التعطل كانت قائمة قبل الحرب الحالية فى جميع الدول بشكل يهدد بالخطر ، وستعود سيرتها بأشد مما كانت يوم أن تضع الحرب أوزارها ـ فلم يكن بد من التفكير فى هذه الحالة منذ اليوم ، وفى اتخاذ التدابير لمواجهتها ، وكان مشروع "بيفردج" من بين هذه التدابير ، كما كان التفكير فى حركة الإنشاء والتعمير التى أعلنها مستر تشرشل فى خطابه الأخير من بين هذه التدابير أيضا ، وخطت أمريكا مثل هاتين الخطوتين فى مشروع الرئيس روزفلت الذى بعث به إلى الكونجرس أخيرا .

خامسا — وكانت هناك حالة فكرية أخرى، لم يكن للديمقراطية بد من مواجهتها وعمل حسابها ، هذه الحالة نفهمها على حقيقتها حين ننظر إلى العنوان الذى قدم به مستر بيفردج مشروعه وهو "نصف الطريق إلى موسكو" .

فاشتراك روسيا فى هذه الحرب، وصمودها فيها، حتى الان، وعدم قيام الثورات فى داخلها كما كان منتظرا عند الكثيرين قد أوجد مجالا للطبقات العاملة فى انجلترا وفى أمريكا لتفكر فى هذه الظواهر ، ولتعقد الموازنات . فلم يكن أمام الديمقراطيات إلا أن تنبه لهذه الأفكار وأن تقوم بتلبيتها فى مشروع كهذا المشروع يجمع بين الميزات المختلفة ، ويحفظ النظام الاجتماعى القائم فيها من التزعزع والاهتزاز .

سادساً — على أن هذه الحالة الفكرية الخاصة إنما عجلت فقط بهذا المشروع ؛ ولكنه كان نموا طبيعيا كما قلت لحركة التأمين الاجتماعى فى انجلترا من ناحية ؛ ومسايرة لمقتضيات العصر الحديث من ناحية أخرى . فالفوارق بين الطبقات التى كانت تطاق فى العصر الماضى لم تعد تطاق اليوم ، وأقل ما تعالج به هذه الحالة أن تمنح الطبقة العاملة من الضمانات ما يجعلها آمنة فى حياتها من غوائل الجوع والمرض والأزمات الطارئة .

وقد بدأ هذا الاتجاه فى الضرائب النسبية المتدرجة . ثم تدرج فى الضرائب الاضافية . ثم فى الضرائب على الأرباح الاستثنائية . ثم فى تحديد الدخل . كما بدأ فى قانون الفقراء سنة ١٦٠١ الذى تدرج فصار قانونا للتأمين الاجتماعى على النحو المقترح فى مشروع بيفردج .

ويقول مستر تشرشل فى خطابه الأخير :

" لقد حان الوقت لقطع مرحلة أخرى عظيمة . وعليكم أن تضعونى وزملائى فى مصاف الذين يدافعون أقوى دفاع عن الضمان القومى الإجبارى الذى سيطبق على جميع الطبقات وجميع الأغراض والغايات من المهد إلى اللحد وسنعد العدة — ومنها إذا دعت الحال — سن التشريعات التمهيدية بأقصى ما يستطاع من الهمة والنشاط لتنفيذ ذلك " .

ثم يقول :

"وها يحسن أن أقول إن خير وسيلة للضمان ضد البطالة هو ألا تكون هناك بطالة ، والمتعطلون من أغنياء وفقراء لا بد من الأخذ بناصرهم لأننا لا نطيق أن يكون بيننا أناس بدون عمل " .

فنغمة " الأغنياء المتعطلين " التى يوقع عليها تشرشل اليوم ، والتى وقع عليها "روبرت موريسون" وزير الداخلية الانجليزية قبل عام — وكلاهما من حزب المحافظين — هى التى نسمعها الآن من آرثر جرينوود الوزير بلا وزارة فى وزارة تشرشل الحاضرة وهو من حزب العمال .

ولتوافق هذه النغمات بين المحافظين والعمال مغزاه ومعناه ، فإذا أضفنا اليه توافق النغمات التى يوقعها "روزفلت وكوردل هل وسمنرولز" فى الولايات المتحدة ، والنغمات التى يوقعها هتلر نفسه فى خطابه الأخير كان لذلك كله دلالة على أن هذا اتجاه عالمى لا شك فيه .

وقد أفادت الأنباء الأخيرة أن الرئيس روزفلت قدم الى "الكونجرس" مشروعا قامت بوضعه لجنة حكومية يتضمن المبادئ الآتية :

أولا — يجب أن يكفل العمل لكل القادرين عليه الراغبين فيه .

ثانيا — حينما يكون العمل منقطعا يجب أن يكفل للعامل بوساطة التأمين الاجتماعى الدخل الكافى .

ثالثا — حينما لا يكفى التأمين الاجتماعى أو تأمين العمل لضمان الدخل المناسب فى فترات الانقطاع عن العمل يجب أن تعطى إعانات للأفراد وللعائلات بوساطة المساعدة العامة .

رابعا — يجب أن يكفل لأفراد الشعب حاجاتهم من حيث الصحة والتعليم .

ولا ينقل المشروع الأمريكى طبقة الفلاحين ، فيكفل لهم نصيبا حسنا مما ينتجه عملهم فى استغلال الأرض مع رفع مستواهم الاقتصادى وتأمينهم فى حياتهم .

وتقول اللجنة فى تقريرها : "ولو لم توجد مثل هذه الكفالة الاجتماعية والاقتصادية ، لما أصبحت هناك أية ضمانة للحرية ، ولا شك أن كل جهودنا لإقامة الحياة والحرية والسعى الى الرخاء ستذهب عبثا ما لم تعتمد على أساس وطيد من التأمين الاجتماعى والاقتصادى" .

ويقول هتلر فى خطابه الأخير : " وستواصل الاشتراكية الوطنية الألمانية السير فى برنامجها بعد الحرب وستستمر الى ان تتلاشى فروق الطبقات نهائيا وتقوم المساواة الصحيحة بين أفراد الشعب " .

فهذا اتجاه عام تتفق عليه الديمقراطية فى انجلترا والولايات المتحدة ، والاشتراكية الوطنية فى ألمانيا ، أما الاشتراكية فى روسيا فأمرها معروف . ولم يبق بد من التسليم بأن روح العصر هى التى تسير التيار ، وأنه لا مفر لأمة تريد أن تعيش فى هذا العصر من مجاراة التيار . والدليل على أن هذه هى روح العصر وليست ملابسات الحرب وحدها أن مستر تشرشل يعلن فى خطبته : " أن الضرائب ستزيد بعد الحرب عما هى عليه الان ! " .

٣ — ماذا تستطيع مصر أن تفعل على ضوء هذا الاتجاه ؟

والآن وقد تقررت هذه الحقيقة ، يتضح أن موقف الجماعة التى قاومت مجرد النظر فى هذا المشروع كان موقفا غير مفهوم كما قال وزير الشئون الاجتماعية ، أو موقفا مكشوفا كما نقول نحن !

وحقيقة أننا متخلفون كثيرا جدا عن الخطوات التى سارت بها انجلترا وأمريكا فى هذا الطريق ؛ ولكن التخلف فى الماضى لا يجوز أن يكون علة للتخلف فى المستقبل ؛ فنحن نعيش فى عالم واحد مع أوربا وأمريكا ، عالم تضاءلت المسافات بين أبعاده وستزيد ضآلته تضاؤلا بعد الحرب ، فلا بد لنا من مسايرته فى خطاه ، فى رفق ولين ، قبل أن نجبر على الجرى وراءه ونحن نلهث ونتعثر .

وحقيقة كذلك إن ميزانيتنا وثروتنا القومية لا يمكننا كلاهما من رصد مثل هذه المبالغ الباهظة للتأمين الاجتماعى . ولكن يجب أن نقدر كذلك أن حياة الفرد فى مصر لا تكلف فى الأسبوع ٥٦ شلنا كما تكلف فى انجلترا ، فمبالغ التأمين التى تطلب هنا لا تبلغ هذه الضخامة .

على أنه يجب أن نفرق بين تفصيلات هذا المشروع وبين اتجاهاته العامة . فهذه التفصيلات قد لا ننتفع بها فى الطور الحاضر من حياتنا ، ولكن اتجاهاته العامة ترشدنا الى خطة السير فى الحاضر والمستقبل .

فما هى هذه الاتجاهات العامة فى مشروع بيفردج وفى مشروع روزفلت على السواء ؟ هذه الاتجاهات هى :

(أولا) تدخل الدولة فى تنظيم الحياة الاجتماعية ، وتحديد الصلات بين طبقات المجتمع ، وتقييد حرية التعامل بين هذه الطبقات بالقيود التى تكفل سلامة المجتمع ومصالح الجميع .

(ثانيا) تقريب الفوارق بين الطبقات برفع مستوى الحد الأدنى وخفض حد المستوى الأعلى للكسب .

(ثالثا) ضمان الحياة المناسبة من المهد إلى اللحد لكل فرد فى البلاد .

(رابعا) جعل هذا الضمان واجبا مفروضا على الدولة وعلى القادرين وليس إعانة اختيارية أو إحسانا أو تبرعا من المتبرعين .

وعلى ضوء هذه المبادئ نستطيع أن نضع سياستنا الاجتماعية ، ونحسب أنه من الطبيعى أن نسير فى هذه الخطوات :

(أولا) جعل الضرائب تصاعدية حتى تتعادل مع الجهد المبذول ومع المقدرة على الأداء . فإنه من المسلم به فى جميع النظريات الاقتصادية أن المبلغ الأول يحتاج إلى جهد أكبر من المبالغ التى تليه ، وأن المقدرة على أداء الضريبة ترتفع كلما ارتفعت أرقام الكسب . وهذه الطريقة تكسب الميزانية المصرية مرونة ليست لها الآن ، وهى فى حاجة ماسة إلى هذه المرونة لتواجه بها الأعباء المنتظرة بعد الحرب مباشرة للتعمير والاستغلال والإصلاح .

(ثانيا) فرض ضريبة التركات ، وجعلها تصاعدية كذلك . ويكفى ما ضاع على الخزانة حتى اليوم بسبب التأخر فى فرض هذه الضريبة التى أخذت بها انجلترا قبل الحرب العظمى الماضية ، واتخذت منها وسيلة للتقريب الاجتماعى بين الطبقات ، فوق ما لها من فائدة فى زيادة مرونة الميزانية العامة .

(ثالثا) فرض ضرائب إضافية عند زيادة الدخل عن حد معين ، تتصاعد كذلك كلما تصاعد الدخل . ذلك أن الضرائب العادية قد لا تكفى فى بعض الأحيان لملاحقة تصاعد الكسب ، كما يقع فى مثل الظروف الاستثنائية الحاضرة . وتركيز الربح فى أيد قليلة محدودة يخل بالتوزيع الاقتصادى للنقد والثروة على العموم .

(رابعا) المضى فى خطة التأمين الاجتماعى التى سارت عليها وزارة الشؤون الاجتماعية حتى عهدها الأخير غير ملقية بالها إلى الاعتراضات التى يقوم بها " اتحاد الصناعات " وسواه

مما لا يمتد نظرهم إلى الغايات البعيدة ، إيثارا لمصلحتهم الحاضرة على مصلحة المجتمع ، بل على مصلحة الصناعة نفسها . إذ المفهوم أن الصناعة القومية لن ترتقى وتتسع دائرتها إلا إذا زادت المقدرة على الشراء بين المستهلكين . وارتفاع أجور العمال وضمان رزقهم مما يزيد هذه المقدرة ، فيعود الربح على الصناعة من جديد .

(خامسا) ضمان الحياة الشريفة لمن نسميهم " المتشردين " وهم ضحية النظام الاجتماعى الذى لا يقدم لهم أية ضمانة ، بل على العكس يحاربهم ويشردهم ويضطرهم إلى الجريمة فى كثير من الأحيان . وعلاج مشكلة التشرد يحتاج إلى بحث خاص . قدمت وسائله فى عدد سابق من أعداد هذه المجلة فلا أكرره الآن .

(سادسا) رفع مستوى الحد الأدنى للأجور والمرتبات ، وتخفيض الحد الأعلى . فإنه من غير الطبيعى فى هذا العصر أن يهبط بعض الأجور إلى مائة وعشرين قرشا فى الشهر ، بينما يرتفع بعضها إلى مائة وعشرين جنيها فى الشهر كذلك .

فالواجب يقضى أن تخفض مستويات الدرجات الخامسة الأولى والثانية والثالثة والرابعة لترفع مستويات الدرجات التاسعة والثامنة والسابعة والرابعة والخامسة ، حتى يتم التعادل والتدرج الطبيعى بين هذه الدرجات .

(سابعا) أن تعجل الدولة باصلاح الأراضى البور ، وأن تستعين فى هذا بالضرائب الاستثنائية وبالقروض الاختيارية والإجبارية ، الداخلية والخارجية ، وأن تسلم جميع ما يستصلح من هذه الأراضى لصغار الزراع . وبذلك تخلق منهم طبقة متوسطة تساهم فى بناء المجتمع وترتفع إلى المرتبة الإنسانية فى الحياة .

ثامنا — أن تزيد فى ميزانية الخدمات العامة ممثلة فى خدمات وزارتى الشؤون الاجتماعية والصحة . وعلى سبيل التمثيل نذكر الفروق الكبيرة بين عدد الأسرة فى المستشفيات العامة وعدد المرضى المضطرين أن يلجئوا الى هذه المستشفيات . فيجب أن تعالج هذه الفروق حتى تزول ؛ حتى يجد كل مريض ما يحتاج إليه من العناية الطبية فى هذه المستشفيات .

تاسعا — أن يجعل التعليم العام حقا لكل مصرى ، لا تصده عنه النفقات المدرسية ، فإن من حق كل فرد أن يزود بسلاح العلم المناسب ليكافح فى هذه الحياة ؛ بعد ما تعقدت وسائلها ، وأصبح التعليم سلاحا أوليا من أسلحتها .

* * *

هذه هى الاتجاهات العامة التى يوحى بها إلينا " مشروع بيفردج " و " مشروع روزفلت " وهى اتجاهات لا مفر من الأخذ بها ، ولا مفر كذلك من جعلها قاعدة للعمل فى المستقبل . ومن الخير إذن — أن توضع أسسها وبرامجها منذ الآن ، وأن ترسم بها سياسة عامة لا تقوم على الحزبية ولا على الاختلافات السياسية ، فالوطن وطن الجميع ، والمستقبل مستقبل الجميع ، ومصالح الوطن العليا ومصالح المستقبل الشامل ، فوق الخلافات وفوق الأحزاب .

سيد قطب

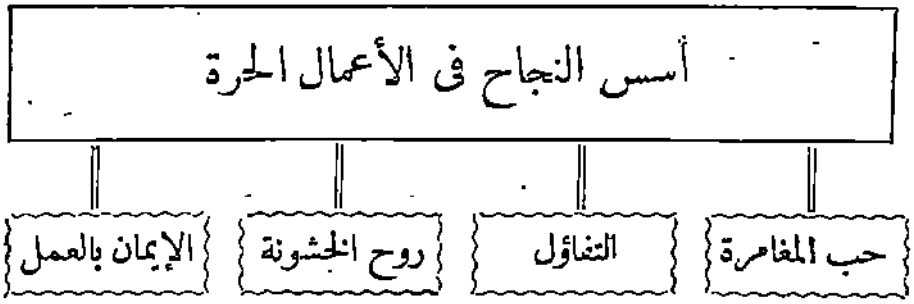

جلست نصف ساعة إلى تاجر ناجح، رأس ماله الحاضر حوالى مائة ألف جنيه ، وقد خسر رأس ماله كله ثلاث مرات ؛ ثم استرده ثلاث مرات ولا يزال يعدّ نفسه للكسب وللخسارة حسب الأحوال .

وقد خرجت من هـذه الجلسة بمعلومات نافعة ثمينة آثرت أن أضعها بين يدى شبابنا الذين يهمون باقتحام هذا الميدان .

حب المغامرة :

عرفت أن أساس النجاح فى الأعمال الحرة أن يكون فى النفس جانب من حب المغامرة والارتياح إلى التجربة والاستعداد للنهوض بعد كل عثرة بنفس الحمة ونفس الرغبة، وهذا ممكن إذا ما اعتبر الإنسان كل تجربة تمرّ به شيئا يفيده ، شيئا ذا قيمة لا يضيره أن يؤدى ثمنه، ثم يبدأ الحياة بعده من جديد وهو أبعد نظرا وأنضج إدراكا وأعرف بمواطن الزلل.

وهذه الميزة تظهر فى الشاب الأمريكى بأقوى مما تظهر فى شباب العالم . فالامريكى حتى فى سن الشيخوخة على استعداد لأن يبدأ حياته من جديد كلما خسر ثروته أو عمله ، ولا يعز على نفسه أن يكون اليوم من أصحاب الملايين ثم يكون فى الغد مفلسا، فيعود عاملا صغيرا فى المعامل التى كان أكبر المساهمين فيها ، فهو يحيا عدة مرات لا مرة واحدة .

وعيبنا الأصلى هنا أننا نحيا مرة واحدة ، فإما أن ننجح على طول الخط ، وإما أن نفشل فنخسر الحياة ، ولا نستطيع ابتداء الشوط من جديد . وإنه ليعز علينا أن يرانا الناس فى مركز أقل مما كنا نشغل ، أو فى عمل أدنى مما كنا نعمل . واهتمامنا بالناس وبما يقال عنا يقعدنا فى أغلب الأحيان عن المحاولة الثانية. فما إن نعثر حتى نلتصق بالأرض ولا نحاول النهوض من جديد ، ولو حاولنا لوجدنا أننا نستطيع .

فاذا استطعنا أن نبث فى شعور الشبان حب المغامرة، فإننا نمدهم بعامل جديد من عوامل النهوض بعد العثار ، إذ تصبح المحاولة تلبية لشعور المغامرة ، الذى يدعو صاحبه لأن يحاول مرة أخرى كلما فشلت المحاولة الأولى ، لا على أمل الكسب وحده ، بل ترضية لشعور المغامرة ولذة المغامرة .

وقصص "السندباد البحرى" تمثل روح المغامرة أوضح تمثيل . فقد كان "السندباد" يلاقى الأهوال فى كل سفرة حتى ينجو أخيرا من المهالك وقد خسر تجارته ورأس ماله فى الغالب ، ثم يتجر فيثرى ويغنى ولكن حب السفر والرغبة فى المغامرة يوسوسان له من جديد ، فيركب البحر من جديد ، ويسلم نفسه للأهوال لأنه مشغوف بالأهوال !

نريد قبسا من روح "السندباد" فى نفس كل شاب وكل رجل حتى لا يختم حياته بعد التجربة الأولى ولا يطوى دفاتره ويأس من النجاح فى الجولة الثانية .

التفاؤل :

وهنا يأتى الكلام على التفاؤل . فاليأس والتشاؤم يقعدان بالهمة عن المحاولة الثانية ، ولا بد من قبس مضىء فى الأفق يهتدى به السالك فى الطريق . والتفاؤل مزاج ولكن يمكن تربيته بالعادة ، وتلك مهمة التربية المنزلية والمدرسية . على أن الإنسان يستطيع أن يعالجه فى نفسه إذا فاته ذلك فى البيت والمدرسة . ويخطئ من يفهم أن التعلم والتعود يقفان عند حد معين من العمر ، ففى كل سن مع شىء من الارادة يستطيع الفرد أن يربى نفسه وأن يتكيف حسب الظروف والأحوال وفى الأمثال يقولون : "من لا تربيه أمه وأبوه ، تربيه الأيام والليالى" وليست تربية الأيام والليالى إلا تربية الإنسان لنفسه ، ومعالجته لما فيه من عيوب على ضوء التجارب التى يلقاها ، والظروف التى يصادفها .

والتفاؤل عادة — كما قلنا — وان كانت له علاقة بالمزاج ، فعلى الشاب المصرى أن ينمى هذا الشعور فى نفسه ، وأن يجرب أثره فى المحاولة الثانية والثالثة ، فإن النجاح نفسه يغرى بالتفاؤل كما أن التفاؤل يؤدى إلى النجاح والعكس بالعكس فى التشاؤم والفشل فإنهما يتبادلان التأثير .

روح الخشونة :

ومما يساعد على اقتحام الحياة من جديد ، بجانب حب المغامرة والتفاؤل ، ألا يستسلم الإنسان للترف ، وألا يغير مستوى معيشته بمعدل ارتفاع ثروته ، وقد كان مما قاله لى هذا التاجر المكافح : " إننى لم أتأثر كثيرا بضياع ثروتى فى المرات التى ضاعت فيها ، فأنا كما ترانى أعيش عيشة بسيطة فى هذا الحى (الحى الحسينى) وفى هذه الدار التى تراها ، وطعامى وشرابى وملبسى وعاداتى لا تتغير كثيرا سواء افتقرت أم اغتنيت ، وقد خسرت مرة ستين ألف جنيه هى كل رأس مالى فلم أشعر أننى مضطر للنزول عن مستوى معين من المعيشة والمظاهر ، ولهذا كان معنى ضياع رأس مالى هو ضياع مبلغ من المال ، لا تحطيم حياة ، ولا انقلاب معيشة ، ولا نزلا من شاهق إلى أسفل سافلين ."

وهذه كلمات ثمينة ولقد استمعت إليها بإصغاء واهتمام وتقدير ، فالواقع أن أهم ما يؤذينا عند ما نفقد عملا أو ثروة ، ليس ضياع العمل أو الثروة ، إنما هو الاثار المترتبة

على هذا الضياع ، وأهمها النزول عن مستوى معين من المعيشة ، والتخلى عن نوع خاص من المظاهر ، والاضطرار لترك عادات خاصة واتباع عادات أخرى لا تكون على استعداد لها بعد تقدم السن .

وعند ما كان هذا الرجل الناجح المكافح يلقى هذه الكلمات فى بساطة — كبساطة مظهره وحياته — كانت ذاكرتى تنازعنى إلى الحديث الشريف : "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم".

وهذا "الاخشيشان" ألزم ما يكون للكافحين فى ميدان العمل الحر ، المعرض للكسب والخسارة والصعود والهبوط ، والثروة المفاجئة والافلاس المفاجئ ، وفى هذا التغير لذة ولا شك ، ولكنها تصبح مريرة مؤلمة إذا كان هذا التغير يؤثر فى مستوى الحياة الناعمة التى اعتدناها فى عهد الرخاء .

الإيمان بالعمل :

وخلة رابعة تساعد على النهوض بعد العثار ، تلك هى الإيمان بالعمل ، والشعور بأن الانسان خلق ليعمل فإذا فشل فهو مطالب بأن يعمل من جديد ، والواقع أن الإيمان بالعمل ينقص الكثيرين منا ، فهم يعتقدون أن الحاجة وحدها هى التى تدفع الإنسان إلى العمل ، فأما صاحب الثروة فغير مطالب بأن يعمل شيئا ، وهؤلاء هم الذين سماهم مرة روبرت مورليسون وزير الداخلية الانجليزية "صنف الأغنياء المتعطلين" والذين نسميهم نحن فى مصر "أولاد الذوات" !

وكلمة "أولاد الذوات" هذه رمز لمن لا يؤدون عملا نافعا ، فهى تنطبق على كل من لا يستحق اللقمة التى يأكلها ، لأنه لا يؤدى نظيرها شيئا ، والشعور الذى ينقص هؤلاء هو شعور الإيمان بالعمل وبقداسة العمل . وهذا الشعور ليس وقفا على الأغنياء المتعطلين ، فكثير من الفقراء الذين يعملون يتمنون لو يستريحون من العمل ولو يأتيهم رزقهم رغدا وهم جلوس . وهذا التمنى دليل على أن مرض "أولاد الذوات" كامن فى نفوسهم ولو كانوا فقراء !

فعلينا أن نغرس حب العمل والإيمان به فى نفوس الأطفال والشبان ، وأن نزدرى من لا يعمل ولو كان أغنى الأغنياء . والدين والمأثورات والمثل العليا جميعها قديما وحديثا تؤيدنا فى هذا المجال .

* * *

هذه خواطر متناثرة أو ثمرات مقطوفة من حقل التجارب لرجل ناجح مغامر مكافح ؛ يثق بالله ويتفاءل بالمستقبل ، ويؤمن بالعمل . وهى ثمرات نافعة لشبان الجيل الذين تفوتهم الفرص الكثيرة ، لأنهم يهابون المغامرة فى العمل الحر ، فإذا غامروا مرة وخسروا تشاءموا وعجزوا عن استئناف الحياة لأنهم لا يثقون بأنفسهم ، ولا يؤمنون بالعمل ، ولا يتذوقون طعم المغامرة والكفاح وهو طعم لذيذ مرىء لمن يتذوقون !

بعض مشاكل الأسرة المصرية

للأستاذ فايد العمروسى

فى الأسر المصرية عامة كثير من الاضطراب فى توجيه سياسة التربيـة المنزلية ، تلك التربية التى يقوم على أساسها المجتمع العـام ، والتى تنشئ الأجيال بعد الأجيال .

وهى اضطرابات أوجد بعضها روح العصر الذى نعيش فيه وتطور الزمن الذى يصيب كل هيئة وكل مجتمع أو أمة بنسب مختلفة ومقادير متفاوتة .

والأسرة المصرية إما ريفية و إما مدنية :

أما الريفية فانها لا تزال سليمة الوحدة قوية البنـاء ، رابطة الدم فيها محفورة بسياج من التحمس والكرامة . بل ورابطة الانسانية فيها لا تزال ملحوظة بأكرم أنواع الاهتمام ، محوطة بكثير من نوازع الخير .

وتعليل ذلك واضح كل الوضوح ، ذلك لأنها أسر حالفت الطبيعة وعاشت فى كنفها فلم تتسرب اليها مفاسد المدنية ، فعاش أفرادها على التضامن والتفاهم والقناعة والبساطة .

أما الأسر المتمدينة فبعضها مسرح لتلك الاضطرابات الاجتماعية التى تؤثر فى تربيـة الناشئة وتطبعهم بطابعها ، ولهذه الاضطرابات أسباب أصيلة وأخرى عرضية ، فمن الأسباب الأصيلة عدم تكافؤ الزوجين ثقافة أو اجتماعا وهو منبع الكثير من أمراض الأسرة ، وما كان الشرع الشريف الا أحكم الحكماء فى اشتراط التكافؤ بين الزوجين ، ذلك التكافؤ الذى يقوم عليه التمازج والتناسق والتفاهم فى الحياة العائلية السعيدة ، وان بعض المآسى التى نراها ونسمع عنها كل يوم لهى أثر سيئ لهذا التفاوت ، وهو أثر يقوض أسرا ويهد بيوتا ، فتفاوت الثقافة بين الزوجين صراع بين عقليتين أحداهما مهذبة مستنيرة ، والأخرى قاصرة محدودة ، ولن يتفق عنصران أحدهما رحب مفكر والآخر ضيق مكتوم .

والتفاوت أيضا فى المكانة الاجتماعية سبب من أسباب هذه الشرور ، ذلك لأنه صراع بين قوتين متفاوتتين لا بد أن تتغلب احداهما على الأخرى فيكون هناك غالب ومغلوب ، وان يتفق غالب ومغلوب فى الحياة على تكوين أسرة فما بال أسرة فيها أطفال ولها كيان يجب

أن يدعمه دستور من الوفاق والتجاوب والاطمئنان . وعدم التكافؤ بين الزوجين واقع بكثرة فى بيوتنا المصرية ، وآثاره محسوسة تفيض بها الأخبار والأحاديث وتتكون منها قصص المآسى والآلام ... وانها لجناية اجتماعية — غير مقصودة — تقع من معتدين على أطفال وأبناء ليس لهم فى هذا ولا ذاك إثم ولا تدبير .

هذا وليس لدينا من التشريع أو القوانين مايمنع وقوع مثل هذا الزواج الا اذا بدا من أحد الطرفين ميل إلى النزاع ، ولن يستطيع المصلحون أو الباحثون فى نظم الاجتماع أن يحولوا بأقلامهم أو بحوثهم دون وقوع هذه الكوارث ، ولكن الأمل الوحيد فى تفاديها أو التقليل منها هم الراغبون فى الزواج أنفسهم ، فالتفكير المنظم والرويه والتعقل وبعض من التجارب والعبر كل هؤلاء رادع أو موقظ لراغبى الزواج أن يتأملوا وأن يحسوا الفوارق السحيقة التى سيصطدم بها الزوجان غير المتكافئين ، وعندئذ يحلق كل فى سمائه ، ويهبط كل فى واديه .

وبعض الأطماع والشهرة والانتفاع والتمسح يكون داعيا إلى رابطة زواج كهذا : ولو علم كلا الزوجين معنى الزواج وفهم روحه وتعقل رسالته ، لتنازل عن بعض أطماعه ، ورغب حيث يكون موضعه من المجتمع وموضع المجتمع منه .

ومن الأسباب الأصيلة التى تنشأ عنها مشاكل الأسرة المصرية :

اختلاف ميول الزوجين : وهذا الاختلاف تبدو مظاهره فى كل شىء فى المنزل ، فى ترتيب الأثاث وفى الملابس وفى إعداد الطعام وفى اختيار المناسبات الخاصة بالتنزه والتزاور ثم فى تكييف العلاقات بينها وبين الأسر الأخرى وأخيرا فى لغة الأحاديث وطرق التفاهم والاختلاف فى واحد فقط من هذه المظاهر كاف لتحطيم بناء الأسرة وتقويض دعائمها وليس من شك فى أن اختلاف الميول بين الزوجين راجع لطبيعة التربية الأولى لكل منهما ، أو لعدم تجانس الطباع وتباين الأحاسيس المختلفة ، أو لتفاوت بين المواهب الذهنية أو النفسية ، وقد كانت هذه الأسباب أعذارا لها قيمتها فى فشل الحياة الزوجية حين كانت المرأة مكبلة فى سجنها ، وحين كان محرما أن تتعرف إلى شريكها فى الحياة وتقف على كثير من خصائصه ، أما الآن فقد أبيح هذا — إلى حد معقول — فى بعض الأسر المصرية ، فلم يبق عذر لواحد من الزوجين إذا هو لم يوفق فى الاختيار !

ومع مانحن عليه الآن من إباحة تعرف الرجل إلى شريكته والشريكة إلى شريكها فإن نسبة التوفيق فى اختيارنا قليلة جدا بالنسبة إلى توفيق غيرنا من أبناء الأمم الأخرى الذين أخذنا عنهم هذا التقليد ، ولن أستطيع تعليل هذا إلا بأن حاسة التميز عند معظمنا معدومة أو ناقصة ، وموهبة الإدراك أو الفهم قاصرة أو مظلمة ، وقد لايكون هذا أو ذاك ، ولكن نظر الرجل إلى من يختارها شريكة له نظر شائع سطحى يتعلق بالظواهر الجذابة فيها

دون التأمل فى الحقيقة والجوهر ، وأنه نظر وقتى تشبعه عوامل الإغراء الجسمى الحاضرة فتعميه عن النظر الى المستقبل وعن هدفه الخالد كأب سيكون له أولاد هو مسؤول عن رعايتهم وتقديمهم للمجتمع رجالا عاملين أو نساء صالحات .

فاختلاف الميول بين الزوجين من أهم أسباب الاضطراب فى المنزل المصرى ، ومن أدق المشاكل الظاهرة التى تنغص حياة الأسرة وتنذر بانحلالها .

ويمكن تفادى هـذا السبب بالتعرف كما قلت ، وإلا فبالاعتماد على تكافؤ منزلة الزوجين .

كذلك من الأسباب الأصيلة فى اضطراب الأسرة المصرية وتطرق الفساد إليها تعدد الزوجات وهو أمر مشروع للرجل طالما هو قادر على نفقتهن ، وطالما هو عادل بينهن ، والتعدد مع فقد واحد من هذين الركنين غير مشروع ، ولن يزعم زاعم أن الشرطين متوافران فى كل من تعـددت زوجاته ، إذن انثمت كثيرون تعددت زوجاتهم فكثرت أولادهم وهم عاجزون عن النفقـة لكل هؤلاء ، وإذن فهنـاك كثيرون تعددت زوجاتهم وفقدوا العدل بين هؤلاء الزوجات ، فماذا صنع هؤلاء وهؤلاء ؟

فالأولون أنتجوا لنا نسلا جائعا مشتتا ، لا نصيب له من الصحة ولا الثقافة ولا العمل ، ونسل كهذا فقد هذه الصفات لا يمكن أن يكون أسرة واحدة لها تضامن أو تفاهم ، أو لها منهج خاص فى الحياة يسلكونه لغاية شريفة ، ولدينا من أنواع هذه الأسر المفككة التى يجهل بعضها الآخر شىء كثير ، والآخرون غير العادلين أنتجو لنا بيوتا غضت بالأحقاد والتنافر والمشاكسات كأنهم أعداء : وكأنه لا رابطة بينهم من الدم تربطهم ، ولا صلة تجمع بينهم وتؤلف قلوبهم . وتلك أيضـا " فواتير " أو أنواع من الأسر المصرية تعيش هكذا متنافرة لا يعرف بعضها البعض ، ويظل هذا الروح سائدا ومنتشرا فى الأبناء وأبناء الأبناء .

ونظرة واحدة فى تطبيق شريعة الله وسـنة رسوله كافية للقضاء على هـذا الاضطراب وكفيلة بأن تنفذ مشروع التعدد بدواعيه وحكمته وشروطه التى نعرفها فلن يكون هناك هذا التخبط الذى ينتج لنا أمثال هذه الأسر التى إن لم تضر المجتمع — بوصفها الذى ذكرته — فهى من المؤكد لن تفيده فى شىء .

والرجل ذو الأولاد يتزوج من غير امرأته فى حياتها أو بعد وفاتها ، والحالة الأولى هى التعدد وقد ذكرتها ، والثانية أمر كثير الوقوع ، ولن يستطيع أحد منعه فهو جائز ومقبول عقلا ودينا ، وهو واقع فى أوساطنا المصرية بنسبة كبيرة جدا ، والنادر منـه ما يفلح ، والغالب منه مايخفق ، وعلى كياسة الرجل وتبصره واهتمامه برعاية أولاده يتوقف نجاح هذا الزواج فتسير أموره كأن لم يفقد أم أولاده ، وكأن لم يتزوج من جديد . وهذا نادر لايقاس

عليه ، وإنما الشائع فى حياتنا هو ما تحتمه الطبيعة من فشل زواج الرجل ذى الأولاد بعد وفاة أمهم ، ذلك الزواج الذى يفتح حياة جديدة بألوان خاصة للرجل وأولاده ، ولن يغيب عن أذهان أقل المفكرين ما فى هذه الحياة من متاعب ومقاساة تلك المتاعب التى تسبب للأسرة اضطرابا وقلقا ، وتسير السفينة فى مجرى غير مجراها الطبيعى و إن كان هناك بعض مما يفجع الرجل فى هدوئه ونظامه فليس هذا إلا جزءا يسيرا جدا مما يصيب أولاده المساكين فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة .

وأمثال هذه الحالات فى الأسر المصرية كثيرة ، ومشاكلها لا تخفى على أحد ممن خبروها أو شهدوها أو سمعوها بمآسيها ، وليس لهذا علاج أكثر مما يملكه الرجال من عزم وتدبير ومن بذل بعض التضحيات الشخصية ثمنا لحفظ كيان أسرهم واعتزازا لأبنائهم ورعاية لحاضرهم ومستقبلهم .

والمرأة ذات الأولاد تتزوج بعد وفاة زوجها أو بعد فراقه من رجل ذى أولاد أيضا ، وهذه مسألة ذات مشكلتين ، فالأولى : ترك أولاد فى يد الأقدار ، وقد فقدوا آباءهم أولا بالموت ، ثم أمهم ثانيا بالزواج ، والثانية : ترك أسرة ألفتها الزوجة وامتزجت بها إلى أخرى تحاول فيها الألفة والامتزاج من جديد ، وفى كلا الأمرين فقد أسر وهدم معائش وتخريب عمران ، وتلك أمور كلها — لاشك — مشاكل قائمة بين الأسر المصرية ليس فيها إلا تعكير صفوها وتكدير سعادتها ، وقد يخفف من كدر هذه المشاكل أن يفهم المتزوجون والمتزوجات من هذا النوع أن الزواج وسيلة لغاية شريفة هى تكوين الأسر الصالحة للشعب وأن التهاون فى رعاية هذه الغاية جريمة وطنية قبل كل شىء ولن تكون هذه الرعاية إلا بتضحيات غالية يبذلها الأفراد حرصا على كيان الأسرة وتأدية لحق المجتمع .

واعتداد الزوجة بشخصيتها من الأسباب العرضية التى تسبب اضطراب الأسرة المصرية وتفسد استقامتها ، والشعور بالشخصية فى ذاته أمر عظيم محبوب ، حتى ان المرأة التى تفقد شخصيتها غير صالحة للأمومة البتة ، غير أن بعض النساء يخلطن بين الاعتداد بالشخصية و بين المكابرة والتشبث ولا يفرقن بين العظمة الطبيعية للشخصية و بين التعاظم والادعاء والاعتداد الذى تواجه به الزوج زوجها يسبب نوعا من الإقلاق والتنافس والمعارضة ، وكل هذه أمور تضايق الرجال ذوى الشخصيات أيضا ، وقد تنجح الزوجة فى فرض شخصية معارضة لزوجها فيصبح فى المنزل رجلان أو قل قوتان متعارضتان تصطدم إحداهما بالأخرى فى كل وقت وحين ، وقد تحتدم مظاهر هذه المعارضة فى حديث على مشهد من الأطفال فتنطبع فى أذهانهم صورة من هذا الاحتدام و بعيد أن يمحوها الزمن ومرور الأيام .

هذا جو غير صالح لإسعاد المنزل أو راحته ، وغير صالح لنمو الروح الطيب الهادئ الذى نعمل على إيجاده فى محيط الأسر ليشب النشء فى بيئة جديرة بتهذيب عقله ونفسه معا ،

ومظاهر هذا الاعتداد فى بعض الأسر المصرية واضح كل الوضوح بحق و بغير حق ، ولعل هذا أثر من آثار سموم التقليد الضار الذى تسرب الينا ، أو لعله مظهر من مظاهر التطور الحديث الذى نسميه بعصر الحضارة والحرية والنور ، وعلى أنه هذا أو ذاك فهو داء عقيم فى البيت المصرى ، والقضاء عليه هو أن يفهم كل من الرجل والمرأة وظيفته و إلا فسيخطئ مكانه من صاحبه .

و إهمال الزوج رعاية منزله من الأسباب التى تخلق المشكلات فى الأسرة ، ولست أقصد بالإهمال التقصير فى النفقات أو الإغضاء عنها فهذا النوع من الإهمال أقل من أن يتكلم فى شأنه إنسان ، و إنما أعنى الإهمال فى الحقوق الأدبية التى هى ألزم للأسرة من حق الشراب والطعام .

كثير من الآباء تضطرهم شواغل الحياة ألا يروا أبناءهم رأى العين إلا مرة واحدة فى كل أسبوع ، وكثير منهم يفعلون هكذا لأن أعمالهم تستغرق نهارهم ، وأحوالهم الخاصة من زيارات أو نزهات تستغرق ليلهم ، وهكذا دواليك النهار يسلمهم لليل والليل يسلمهم للنهار فيعيشون فى منازلهم غرباء عن أولادهم ، وأولادهم غرباء عنهم ، وهنا تجسم الوحدة وتجثم الوحشة فى جو المنزل وتخيم الكآبة فى جوانبه وتتسرب السآمة والملل الى كل من فيه ، ومن هذا التصرف يولد الداء و يستفحل ثم يستأصل حتى يميل كل جميل الى قبيح ، وكل هدوء الى ثورة واضطراب .

هنا فى المنزل زوجة ترقب شريكها لتطلع عليه بالبشر والهناء وهنا أولاد ينتظرون آباءهم ليطلعوا عليه بالفرح والبهجة ، وليبشروا فى نفوسهم الأمن والإيناس ، واذا ما فقدت الزوجة وأولادها هذه الرعاية ناما فقدوا أعز سعادتهم وأعلى هناءتهم ، واذا فقدت السعادة أو ما يشبهها أطلت المشكلات على الأسر برءوسها السوداء .

على ضوء هذه الحقائق وهى ثابتة لاجدال فيها يمدنا الخدم بالنشء الحديث الذى ماورثوه عن آبائهم وأمهاتهم إلا ميراث الدم فحسب أما الميراث المكتسب من الأقوال والأفعال وهى المظاهر الأولى التى تنفتح عليها عيون الأطفال فهو من خزائن الخدم واشباههن ، وهذه المظاهر هى ما تكون فى الأطفال طبائعهم الأولى ، وهى ما تلون غرائزهم بألوانها ، وقلما تمحو التربية المدرسية أو الاجتماعية صفات اكتسبها الأطفال فى أدوار التكوين والنمو .

ومما يزيد هذه المشكلة شناعة أن الخادمات كثيرا ما يشرفن على هؤلاء الأطفال فى التوجيه والرعاية لا فى اللعب والتسلية فحسب فيشب الطفل وهو لا يعرف غير خادمته لأنه لا يرى فى المنزل سواها ، أو لأنه يراها أكثر مما يرى أمه وأباه .

هذا وليس لهذه المشكلة من حل سوى أن نقول للآباء والأمهات ، هذه منازلكم فارعوها ، وهؤلاء أولادكم أنتم وليس لكم فيهم نصيب أو حق بقدر ما للأمة والوطن وعليهم من ديون وحقوق .

ومن الأسباب أو العيوب التى نتجت عنها بعض المساوئ فى الأسرة المصرية فقدان روح المجاملة بين أفراد الأسرة ، والمجاملات النفسية أو الأدبية هى أسمى أنواع المجاملات التى تلين قسوة الطباع وتهذب الشراسة وتطوع الجموح ، بل ان المجاملات لتخلق النفوس وتهز القلوب فتخفق بالود والاخلاص وتفيض بالرقة والتعاطف .

ولكن مما يؤسف أن روح المجاملة هذه مفقودة فى بعض أسرنا ، وأن أفرادها يعيشون بعضهم غريب عن البعض الآخر ، وأن فى نفوسهم ما يمكن أن يسمى جفاء أو فراغا ، وقد يكون للتقاليد المصرية القديمة ولا سيما الريفية منها بعض الأثر فى إنزواء كل فرد من الأسرة عن أخيه واستقلاله بنفسه وتكتمه فى كثير من الحيية والحياء ، وأصحاب المذاهب التقليدية يرون هذا احتشاما وأدبا ، والتربية الحقة أو الاجتماعية على الأقل تراه نقصا وعيبا ، بل تراه من المشكلات الرديئة الجديرة بالعلاج لضمان الثقة بالأسرة والارتفاع بشأنها من وجهة التربية الاجتماعية على الأقل ، مسئولية الآباء والأمهات فى هذه المشاكل .

هذه بعض مشاكل الأسرة المصرية أو بعض عيوبها فى عرض خاطف سريع ، وهى كما نرى أثر من آثار التربية المنزلية التى هى أولى مسئوليات الأب والأم فى المنزل ، والأب والأم هما الطابع الأصيل الخالد فى نفوس الأبناء وتربيتهم ، وان ذلك الطابع ليمحو كثيرا مما يكتسبه الابن من الصفات أو الأخلاق فى محيطه الخارجى عن منزله ، وكل مشكلة من هذه المشاكل أساسها الآباء والأمهات وهدفها الأبناء ، ولا يمكن بالدقة تحديد مسئولية كل من الأب والأم فى خلق هذه الصعوبات إلا على طريق التقريب .

فايد العمروسى

أهم واجباتنا
فى سنوات الزواج الأولى

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

لاشك أن سنوات الزواج الأولى هى أدق فترة تستحق منا أن نبذل فيها أقصى ما يمكننا من عناية واهتمام لتكوين حياتنا على النحو الذى نريده ونتمناه ...

ومما لا ريب فيه أن لكل منا حياة تختلف عن حياة الآخر ، من حيث الطباع والعادات ، وطريقة التفكير . ولذلك لا يجب علينا أن نعلل النفس عند الزواج ، بأن كلا منا سيجد فى شريك حياته مثله الأعلى الذى ينشده فى اليقظة والأحلام ، بل أن يعتقد اعتقادا جازما بأنه مقبل على اخراج صورته المثالية إلى عالم الحقيقة كما كان يصورها فى عالم الخيال ، فيتأهب لكى يكون مثالا ماهرا ، يضع فكرته السامية فى التمثال الحى الذى سوف يعيش معه ويكيفه على النحو الذى يحب ويتمنى .

فاذا لم ينجح فى تركيز أفكاره واتقان صورته فى هذا التمثال قلبا وقالبا خلال السنوات الأولى من زواجه ، فليتأكد من أنه قد فشل فشلا تاما فى أداء مهمته حيث لا يمكنه بعد ذلك أن يتناولها بأى تهذيب أو إصلاح .

ولذلك فإن من واجباتنا أن نفكر فى حقيقة تلك الخطة التى نعمل بها حتى نسمو برابطتنا المقدسة إلى حد الكمال .

ولنعد إلى البداية فنقول : أن لكل منا فترة تمر به فى مقتبل شبابه يتخيل معها أشياء تتأصل فى نفسه تبعا لبيئته وثقافته وطموحه ، ويتمنى — ويكاد التمنى يذهب به بعيدا — أن

تحقق تلك الخيالات التي رسمها له النطاق الضيق الذى كان يعيش فيه قبل أن تطويه الحياة فى تيارها و يكلفه وسط لجتها . . .

والمرأة فى ذلك بالطبع تستوى مع الرجل بل قد تفوقه فى أكثر الأحيان ، فهى بحكم طبيعتها الأنثوية الهادئة ، خصوصا المراة الشرقية البعيدة عن غمار الناس ومجتمعهم الصاخب تميل إلى حسن الظن بالأشياء وتصوير الناس فى صورة زاهية جميلة .

فهى تنفق السنين فى تصوير رجلها المنشود بريشة الكمال المطلق ، حتى لاتكاد تتسامح ولو فى هفوة بسيطة من هفوات التصوير كى لاتخدش صورتها الفنية الأنيقة ، وتظل تضفى عليها من الصفات الجميلة ألوانا فاتنة ، ومزايا تتضاءل أمامها صفات القديسين والملائكة . وهى بالجملة تصور لنفسها على قدر نفسها تمثالا جميلا تقدسه ، ومثلا أعلى تعيش له . وغالبا ما يشط بها الخيال فتصور بطلها فارسا من فرسان ألف ليلة سيختطفها يوما على حصانه الأشهب الجميل و يطوف بها خلال جنة الفردوس .

ولهذه الخيالات وغيرها من الخطورة أكثر مما لها من الفائدة ، فقد يكون فى الخيال عزاء عن الحقيقة ؛ ولكن فى مثل حالتنا هذه فالخيال خطر وأى خطر . فالحقيقة تصدمنا فى كثير من الأحيان صدمات كثيرا ما يتحطم معها تمثال أحلامنا أو على الأصح تمثال أوهامنا .

فالفتاة عند ما تنتقل إلى منزل الزوجية قد ترى فى بادئ الأمر تحقيقا لخيالها المرسوم بارزا فى الصفحات التى يخطها سحر شهور الزواج الأولى ؛ تلك الشهور التى يجتهد فيها الزوج أن يكون كاملا فى كل أفعاله وأقواله ، و يعمل جاهدا على ستر نواحى الضعف فيه ؛ ولكنه بعد وقت قصير لا يقوى على الاستمرار ، فتنكشف عيوبه ، وتتجلى نقط الضعف فيه ، وعندئذ تصدم الزوجة بتلك الحقيقة فيتحطم أمام عينها تمثالها المعبود ، وتمتلىء سماء أحلامها غيوما وسوادا .

ولما كان الإنسان من بنى البشر المخلوقين من طين ، وليس من نور كالملائكة . فهو معرض للخطأ والصواب على استعداد للكمال والنقصان ، فيجب اذن أن نلتمس له العذر فى نقصانه وأخطائه ، ولكن مع محاولة تقويم اعوجاجه واصلاح هفواته .

ولست ممن يؤمنون بالمستحيلات ، فكما أن الرجل هو الذى يمكنه أن يجعل من امرأته ملاكا و يمكنه أن يخلق منها شيطانا ، فالمرأة تتساوى كذلك أيضا مع الرجل فى تلك المقدرة ولن يستحيل عليها بقليل من المهارة والكياسة أن ترشد زوجها إلى ما تحب ، وتجنبه ما لا تحب .

فاذا حدث واصطدمت فى مستهل حياتها الزوجية بطباع تغاير طباعها ، و بأخلاق قد تتعارض مع أخلاقها ولو إلى حد ما ، فلا يجب عليها أن تتبرم أو تيأس من ذلك التشويه الذى اعترى صورتها مؤقتا ، فى الوقت الذى يمكنها فيه بما أوتيت من رقة المزاج ، وجمال التصوير ، أن تهذب من نموذجها وتضفى عليه من خيالها أزهى الألوان وأحبها إلى خيالها المثالى حتى تخلق من زوجها مثلها الأعلى فى الحياة .

فمثلا الرجل الذى تعود ترك بيته فى المساء ليجتمع بأصدقائه الذين فارقهم فى الصباح عملا بنظامه الذى حياته له الظروف قبل الزواج ؛ تستطيع لزوجة القوية الشخصية أن ترغمه بظرفها ووداعتها على الاستقرار فى بيته والتشوق إلى الساعات التى يقضيها بجانبها .

كذلك اذا رأت زوجها ممن يحبذون فكرة الاختلاط بالأصدقاء ، ذلك الاختلاط الذى استحدثته المدنية الزائفة ، والتى كان من أثرها أن تمكرجو الأسرة بغيوم أصدقاء السوء ، فيمكنها أن تكون هاديا لزوجها تحميه من الانزلاق فى منحدر جلساء السوء ، فتكون له صديقا مخلصا ، ومسامرا ناصحا ، ولتعلم جيدا أن صلتهما المقدسة تعطيها الحق فى الدفاع عن مصالحهما المشتركة التى تجعل منهما نفسا واحدة تجمعهما فائدة واحدة .

وان كان لوجود الأصدقاء فى محيط الأسرة بهجة وسرور فى بعض الأحيان فله أيضا خطورته ونتائجه ، وهذا لما يختلط علينا غالبا من التفرقة بين صديق السوء والصديق الوفى تلك التفرقة التى لا يمكننا أن نلمس حقائقها إلا بعد أن نحترق بنيران التجربة . و إلا بعد أن تترك تلك التجربة فى أعماقنا أثرا يظل مستمرا ما بقينا فى الحياة .

وكلنا يعرف أثر أصدقاء السوء فى هدم الكثير من البيوتات الهانئة المستقرة ، ونعرف ما يسببه الاختلاط الكثير بالناس من أسوأ العقبات ، وكم أتمنى لو أمكن لكل امرأة حازمة أن تعمل ما استطاعت على إيجاد الوسط الذى يعشقه زوجها فى مملكتها الصغيرة ، وبذلك يمكنها أن تبعده عن جلساء السوء فى الخارج وأن تريه من المسرات الحقيقية ما يريه حقيقة تلك المسرات الزائفة التى يخلقها حوله أناس لا هم لهم إلا تحقيق منافعهم الشخصية واختلاس أمواله بطريقة فنية جريئة لا يشعر بها إلا بعد أن تثقله الديون وتفتح أمامه أبواب الخراب .

ولأصدقاء السوء داخل البيوت أكثر مما لهم خارجها فكثيرا ما كان هؤلاء الأدعياء سببا فى فشل الحياة الزوجية السعيدة فى كل بيت هانئ يحاولون به بما عرف عنهم من المخاتلة وحب النفاق ، وكم من قلوب تحطمت و بيوت تهدمت بغير سبب إلا وقيعة أصدقاء السوء وانحطاط أخلاقهم ، تلك الأخلاق التى لا يتورعون معها أحيانا إذا ما دخلوا منزل زوجين لم يزالا فى سنوات الزواج الأولى من أن يتقربوا الى الزوجة الشابة التى لم تستقر فى حياتها

الزوجية بعد ولم تتشبع نفسها الصغيرة بعظم واجباتها ومسئولياتها، ويملأون أفكارها بأقاويلهم الملتوية المستترة تحت ستار من الأدب المصطنع ، وتكون النتيجة أن يستبدلوا من الزوج الأمين قلب زوجته كما استبدلوا قبل ذلك عمله وأمواله .

وأنى أوجه نظر كل زوج عاقل إلى هذه النقطة المهمة فلا يدعو الى منزله إلا من يثق فى أخلاقهم من كرام الرجال كى يأمن على سعادته من الانهيار وأيضا ألا يكثر من اختلاط زوجته بهم خصوصا فى أول سنوات زواجهم لئلا تتعود على ذلك ويصعب عليه ردعها .

وصديقات السوء يتساوين فى الأخلاق مع إخوتهن الرجال إن لم يمتزن عنهم ، ولذلك فلتعلم كل زوجة أيضا أنه من أهم واجباتها أن تبتعد هى الأخرى عن صديقات السوء من الجارات وغيرهن ، تلك النسوة اللاتى لا هم لهن إلا أن يستنفدن أوقاتها فى ثرثرة لا فائدة منها ، وحديث معاد يكون فى أغلب الأوقات حديثا ممجوجا يملأ عقل الزوجة بالخرافات والأفكار السخيفة التى كثيرا ما تدفعها الى خلق المشاكل العائلية والنظر الى حياتها نظرة سخط وتشاؤم فضلا عما يسببه لها هذا الأمر من اهمالها لشئون المنزل أمام اضطرارها للقيام بواجبات الضيافة لهؤلاء اللاتى لا يخترن لزيارتهن إلا أشد الأوقات حاجة لاشراف سيدة المنزل على منزلها وقضاء ما يحتاج إلى عنايتها من حوائجه .

حتى إذا ما عاد الزوج إلى منزله مكدودا بعد ما لقى فى يومه من عناء الأعمال ، آملا أن يرى فى منزله جنة الأحلام وكعبة الأمل ، اصطدمت عيناه بما تقع عليه من إهمال ينفره من البقاء فيه ويخلق بينه وبين زوجته حاجزا من سوء التفاهم يظل يقوى على طول الزمن .

وقد قرأت قصة إنجليزية عن سيدة كانت رقيقة الحال رزقها الله بزوج ثرى أبدل من بؤسها نعيما وملأ عليها قلب الكثير من السيدات حسدا وبغضا ، فالتففن حولها مبديات لها الود والصداقة ، حتى خدعتها ظواهرهن ، ففتحت لهن بابها يطرقنه فى حضرة زوجها وفى غيابه ، وكثر عددهن وتمادت الزوجة فى دعوتهن حتى ازدحمت بهن الدار ليلا ونهارا ، وما أتين مرة إلا وأخذن فى الضحك والصخب حتى يمتلىء المنزل بضجيجهن وينشغل الخدم وصاحبة الدار بخدمتهن عن أعمالهم المنزلية إلى أن صار المنزل مثلا سيئا للفوضى والاهمال ، فكره الزوج البقاء فيه وصار يرى فى المنتديات على ازدحامها مكانا أهدأ الى نفسه وأقرب الى قلبه من منزل الزوجية ، وزادت تكاليف الحياة أمامه بين طلبات زوجته وحفلات صديقاتها الدائمة وبين تكاليفه خارج الدار ولم ير إلا الطلاق يخلصه من تلك الحالة وكان له ما أراد بعد أن أصرت الزوجة على مسلكها ولم ترتدع ، وما أن عادت الى منزل ذويها المتواضع حتى انفض الجميع عن صحبتها ولم تعد احدى هؤلاء الأفاقات تجود عليها حتى بمجرد السؤال .

ومن هذه القصة وغيرها تتضح لنا فائدة الإقلال من الاختلاط خصوصا فى سنوات الزواج الأولى حيث يكون الزوجان لم يزالا فى حداثة عهدهما بالزواج ولم يستقرا بعد فى حياتهما ولم يعرف كل منهما طباع الآخر وعاداته .

وأرى من المستحسن فى هذا الأمر أن تجعل الأسرة لها يوما مخصصا للزيارة يحضر فيه من شاء من الأهل والأصدقاء و ياحبذا لو كانت مواعيد الزيارة فيما بين الخامسة والثامنة مساء . حيث تكون ربة البيت قد فرغت من الإشراف على شؤون منزلها و يكون فيه الزوج قد أخذ لجسده المتعب وقتا كافيا للراحة من عناء الأعمال .

ولا يقلق زوجين فى مستهل حياتهما الزوجية أكثر من تلك الزيارات المفاجئة التى يقوم بها أصحابهما كالطائرات المنقضة بغير سابق انذار، وأرى من المستحسن فى تلك الحالات أن يعتذر الخدم لهؤلاء السادة بعدم استطاعة أصحاب المنزل استقبالهم حتى لا يلجأوا إلى تلك الطرق الملتوية التى تدل على عدم ميلهم الى النظام فى حياتهم .

ونترك أصدقاء السوء لتتكلم عن مدى تدخل الزوجة المثالية فى شؤون زوجها وكيف يمكنها أن تصلح من أخلاقه وتقوم اعوجاجه حتى يصير مثلها الأعلى .

فالمرأة مسئولة عن زوجها كما هو مسئول عنها ، بل من واجبها أن تمده دائما بالموعظة الحسنة ، والبصيرة الثاقبة ، والرأى الراجح ، ولتثق أنها بتهاونها فى شؤون زوجها قد تحكم على نفسها بالفشل والشقاء .

وليس معنى هذا أن تقيد الزوجة زوجها بقيود حديدية ،وأن تفرض عليه طاعتها كأنه طفل غرير يحتاج الى الردع والتأديب. فان هذا ولا شك سيشعره بانتقاص قدره والحط من كرامته ، وهو رب الأسرة الذى من شأنه أن يبدى النصح لا أن يتلقاه .

هذا الى جانب ما يعتمل فى النفس البشرية دائما من ثورة وتمرد اذا ما شعرت بشبح قيد يحد من حريتها التى لا تعشق فى الحياة سواها والرجل والمرأة فى هذا الأمر سواء . وهما فى ذلك يستويان مع سائر أنواع المخلوقات منذ الخليقة .

فاذا عرف الرجل بأن الزوجة تتداخل فى حريته تداخلا يشعره بالقيود ، كان ذلك سببا مباشرا يجعله يمعن فى غيه ويتمادى فى أهوائه .

ومن طريف ما كتبه كاتب كبير — هارب من الزواج — ذات مرة فى المرأة التى يتمناها زوجته ، أنه يود ألا تشعره بقيود الزواج ، ومسئولياته ، بل أن تشده اليها ، ولكن بخيط دقيق من الحرير لا تدركه عيناه، طويل بحيث لا يقف أمام ارادته .

وهى نصيحة ثمينة لا بأس بها من فنان يتكلم عن مثله الأعلى بين النساء .

وان كان البعض يظنها كلمات خيالية فهى مع ذلك البسيطة فى الواقع لا تستوجب منا عناء كبيرا فى العمل بها للرجل والمرأة على السواء .

فلنفرض أن أحد الزوجين كان أحمق عصبى الطبع أو كسولا متبلد المزاج ، أو متلافا محبا للإسراف . أو ميالا للعربدة ومصادقة خلان السوء أو هذا وذاك من الأشياء الكثيرة التى تجلب سوء التفاهم فى محيط الأسرة ، فلا يجب أن يلجأ الانسان الى المفاضبة والمشاكسة لإرغام الآخر على الاعتدال ، لأنها طريقة شائكة لا فائدة فيها بل يعمد توا الى العلاج النفسانى فهو أفضل الطرق فى إصلاح هذه الأمور .

فاذا كان النقص مثلا فى أخلاق الرجل فلا أسهل على المرأة من أن تلجأ إلى الحيلة واستعمال رقتها الأنثوية فيما تريد أن تستكمله فى أخلاق زوجها من النقائص ، فتلاطفه دائما وتذكره من آن لآخر بحبها العظيم له وكيف أنها تقتدى بأخلاقه العظيمة فى كل شىء لأنه زوجها وصديقها ، وتظل تضرب له على مثل هذه النغمة وتشيد بالصفات التى تحبها على أنها صفاته بلهجة طبيعية بعيدة عن التكلف ، ولئلا يشعر بما فى كلماتها من مبالغة فيعتقد أنها تهزأ به ، يمكنها أن تقول له فى معرض الحديث مثلا بلهجة يجب أن تعتقد هى الأخرى صحتها .

"ولا تعتقد يا عزيزى أن هناك انسانا منزها عن الأخطاء فلكل منا عيوبه ومحاسنه ولا شك أن الأيام نفسها كفيلة بإصلاح نقائص كل انسان خصوصا اذا تزوج وعرف أنه فى المستقبل القريب سيكون له أبناء يرون فيه مثلهم الأعلى فى الحياة" .

فإذا سألها عما ترى فيه من هفوات ادعت بأنها لم تلاحظ ذلك بعد لأنها تحبه ولا ترى فيه إلا رجلا عظيم الأخلاق ، ومن ثم تحاول أن تغير مجرى الحديث .

وتظل بعد ذلك تنتظر بصبر وجلد نتيجة تجاربها النفسية ، وهى تتصبر فى بوتقة الأيام ، ذكى نارها كلما خبت ، وتلهب حرارتها كلما خمدت ، حتى تختمر وتتركز ، وهى فى كل ذلك تاركة زوجها لنفسه ، ينظر اليها بمنظار الحقيقة ، ويسائلها عن محاسنه وصفاته ، وعن نصيب أخلاقه من الكمال والنقصان ، حتى اذا وجد أن مساوءه تطغى على تلك الحقيقة التى تذكرها زوجته الطيبة القلب ، عمد الى التخلى عن وضيع خصاله خشية أن تقف عليها فتتغير نظرتها المحترمة له أو تتأثر بها فتسوء العاقبة . واجتهد فى انماء نواحى الخير فيه حتى يكون فى المستقبل أبا عظيما جديرا بلقب رب الأسرة ورائدها .

والرجل أيضا عليه هذا الواجب نحو زوجته ان كان الأمر معكوسا ، ولنعلم جميعا أنه لا شىء أعظم أثرا فى حل مشكلات الحياة من أخذها بالحكمة والصبر الطويل ما

زينب محمد حسين

جامعة شعبية

لرفع مستوى العمال

يدرس معالى وزير الشؤون الاجتماعيـــة فى هذه الأيام مشروع إنشاء جامعة شعبية صناعية للعمال تلحق فروعها بنقاباتهم ، وتقوم وزارة الشؤون الاجتماعية بالإشراف على إدارتها واختيار الأساتذة الممتازين فى كل فن لتدريب العمال على الطرق التى يجيدون بها مهنتهم ، وتمكينهم من دراسة أحدث ما يتعلق بهذه المهنة فى المبتكرات ، هذا إلى تعليم الأميين منهم القراءة والكتابة .

ومن أمثلة ذلك إنشاء مدرسة يتلقى فيها الطهاة — فى غير أوقات العمل — دروسا من طهاة ممتازين فى أصول الطهى ، حتى اذا أتموا دراستهم فيها ارتفع مستواهم من الناحية الفنية وزادت بذلك أجورهم .

ومن الأمثلة كذلك إنشاء مدرسة لتثقيف الخادم وإرشاده الى إجادة الخدمة ، وتعليمه آداب السلوك والطرق الحديثة لإدارة شؤون المنزل ونظافته .

على أن تعميم هذه المدارس المختلفة فى النقابات الأخرى كنقابات التجارين والحدادين وسواهم ، والمشروع على هـذا النحو يسد النقص الأساسى فى تكوين العامل المصرى ، وهو أنه — فى الغالب — لم ينل قسطا من الثقافة العامة أولا ، ولم يدرس صنعته دراسة منظمة ثانيا .

فأما النقص الأول فمنشؤه تأخر حركة التعليم الإجبارى فى مصر ، فالتعليم الإلزامى وهو أقل أنواع التعليم درجة وفائدة لم يعمم بعد ، وحتى لو عمم على أساسه الحالى فإن نتائجه الثقافية ضئيلة ، وقد اقتنعت وزارة المعارف أخيرا بهذه الحقيقة ، ففكرت فى تغيير أساسى لقواعد هذا التعليم .

على أن الحد الأدنى للثقافة العامة التى يجب أن يحصل عليها المواطنون ليس هو التعليم الإلزامى على كل حال ، إنما هو التعليم العام — كما ذكرت فى مقال سابق — وهذا التعليم تفكر الدولة فى جعله مجانيا كما صرح بذلك موظف كبير مسئول فى وزارة المعارف ، ومن الواجب أن يجعل إجباريا فى المرحلة التالية ، حتى نصل إلى مستوى الشعوب المتحضرة .

وعلى أية حال فمشروع الجامعة الشعبية يمكن أن يتدارك هذا النقص فى محيط العمال ، وإن لم يستطع الوصول بهم إلى هذا المستوى الذى نرجوه فى المستقبل لجميع أبناء البلاد .

وأما النقص الثانى فنشؤه أن العامل المصرى غالبا لم يتخرج فى مدرسة تعده لصناعته. لأن المدارس الصناعية لم تنشأ حسب حاجة السوق العملية ، ولم توضع برامجها لتلبية الحاجة فى هذه السوق . فانخرط فى سلك الصناعات المختلفة عمال تدربوا على الصناعة تدربا عمليا لا تصاحبه ثقافة ولا دراسة مستنيرة .

ونشأ عن هذا أن العامل المصرى ، الذى لا ينقصه الذكاء بشهادة الجميع ، تنقصه الدراية بصناعته كما ينقصه الذوق الفنى فيها ، بسبب جهله أولا ، وعدم دراسته شيئا علميا عن عمله ثانيا .

وكانت النتيجة المحتومة لهذين العاملين ألا يرتقى العامل المصرى فى صناعته إلا نادرا ، وألا يرتفع أجره كذلك ، ما دامت خبرته العملية لم ترتفع .

وفى هذا وذاك ضرر على العامل فى معيشته ، وضرر على الصناعة القومية فى مستواها . وكلاهما يستحق الالتفات والعناية ، ويستدعى العلاج والمحاولة .

* * *

وفى البلاد التى ثبتت فيها أقدام الصناعة ، وارتقت الحركة العمالية ، ونضجت المؤسسات الاجتماعية ، يقوم بهذه المهمة — التى نرجو أن تقوم بها الجامعة الشعبية — النوادى الخاصة والعامة لطوائف العمال .

ففى هذه النوادى بجانب الألعاب الرياضية وألعاب التسلية ، تقوم المكتبات التى تهيىء للعامل وسائل الثقافة النظرية العامة أو الخاصة بعمله ، وتقوم كذلك حجر الدراسة لتزويد العامل بقسط من هذه الثقافة وتلك ، وإعانته على ترقية مستواه الذهنى والحرفى ، وبجانب المكتبات وحجر الدراسة ، توجد غرف العمل ؛ وهذه يقوم بالتدريب فيها اختصاصيون فى الحرفة يزودون العامل بالمرانة والدربة ، ويرفعون مستوى كفايته العملية .

وطبيعى أن تحتاج مثل هذه الخدمات الاجتماعية الى المال ، وهذا المال لا يضن به أصحاب العمل هناك على النوادى والهيئات الاجتماعية ، لأن أصحاب العمل هناك قوم مثقفون بعيدو النظر فضلا على تمكن الروح الاجتماعية فى نفوسهم ، فهم يعرفون جيدا أن ما يتبرعون به لهذه المؤسسات لا يضيع سدى ، بل يعود بالفائدة على مصانعهم وأعمالهم ، لأنهم هم الذين سينتفعون بمهارة العامل وثقافته ، وهم يعرفون جيدا كذلك أن العامل هو أداة الإنتاج فلا يستكثرون عليه ما يبذلونه للآلة من الوقود والتشحيم والتنظيف !

فاذا وجدت هذه الروح عند أصحاب العمل فى مصر فلا شك أنهم يساعدون وزارة الشؤون الاجتماعية مساعدة جدية فى مشروعها العظيم ، الذى تنهض بمثله فى أوروبا وأمريكا جماعات الخدمة العامة ونوادى العمال ، بما تحصل عليه من مال يؤدى معظمه أصحاب الأعمال .

ويذكرنى مشروع الجامعة الشعبية للعمال بالمدارس الشعبية فى الدول السكندنافية ولا سيما الدانمركية ، فعلى هذه المدارس قامت ثقافة الشعب الدانمركى ، وقام اقتصاده القومى ، بل قامت حضارته كلها وهى حضارة من الدرجة الأولى فى العالم .

وهذه المدارس تعنى بالشؤون الزراعية لأن الدانمركة بلد زراعى تقوم ثروته على الإنتاج الزراعى والصناعات الزراعية ، مما يجعل مصر قريبة الشبه بها ، ويجعل مدارسها الشعبية هذه ممكنة التحقق فى هذه البلاد .

وعن هذه المدارس يقول الأستاذ أمير بقطر فى كتابه " الدانيمركة " ما يأتى :

" ابن الفلاح فى دانيمركة أو بنته — يتم دراسته الأولية (أو الابتدائية إذا شئت) فى الرابعة عشرة من عمره ، ولكنه لا يلتحق بالمدارس الثانوية العادية التى تؤدى فى النهاية إلى الدراسات الجامعية أو المدارس الفنية أو المهنية العالية . ولكنه يشتغل بالزراعة ، إما مع والديه أو أحد أقاربه أو غير هؤلاء . ويبقى لذلك إلى سن الثامنة عشرة على الأقل . وفى هذه السن يلتحق بمدرسة ثانوية شعبية حيث يتلقى فى فترة قصيرة ما يؤهله بحق أن يشترك فى حياة قومه الزراعية ، ويتزود بالثقافة التى تجعله عضوا عاملا فى عشيرته ، والجماعة والبيئة التى يعيش فيهما " .

والمواد التى تدرس فى هذه المدارس عادة هى ، اللغة والخط والمطالعة وتاريخ أدب اللغة والتاريخ والقانون وعلاقتهما بالأحوال الاجتماعية والجغرافيا والعلوم الطبيعية والصحة والحساب والرسم والرياضة البدنية والخياطة والدروس الزراعية .

ويخيل إلىّ أن البيئة المصرية تحتمل التفكير فى مثل هذه المدارس بجانب المدارس الصناعية . فالزراعة المصرية متخلفة وإنتاجها لا يتفق مع الإنتاج العصرى ؛ ومرجع ذلك الى جهل الفلاح المصرى والى جموده على الطرق الزراعية القديمة .

فلو وجدت فى الريف مدارس من هذا النوع لفترات قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أشهر كل عام ، يلتحق بها من يتمون التعليم الأولى ويشتغلون بالمزارع ، لاستطاعوا أن ينموا معلوماتهم وأن يزيدوا ثقافتهم ، وأن يدخلوا تغييرا فى وسائل الإنتاج الزراعى الحديث .

وهو اقتراح نضعه تحت نظر وزارتى المعارف والشؤون الاجتماعية بجانب مشروع الجامعة الشعبية للعمال .

وحين نجد بلادا صغيرة محدودة المساحة الزراعية كالدانيمركة تستطيع أن تنتج من الزراعة والصناعات الزراعية ما تبلغ به قيمة صادراتها السنوية أكثر من خمسين مليونا من الجنيهات ، ونعلم أن لهذه المدارس اليد الطولى فى هذا الإنتاج وفى هذا الرخاء ، فضلا على الرقى الاجتماعى . فان هذا كله يشعرنا بأن التفكير فى مثل هذا الاقتراح ليس مجهودا ضائعا ولا عبئا فارغا ، ولا مستحيلا من المستحيلات !

يوم فى بهتيم

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

انطلقت السيارة من المدينة إلى ضاحية شبرا تطوى شوارعها فتكشف على جانبيها ما حل بالبلدة من تغيير وتبديل . لم تعد شبرا بلد الحدائق والحقول . لقد غزتها الصناعة بمحافلها ، واجتاحتها بمنشآتها ومعاملها ، وأقامت فيها من باسق المداخن وفسيح العنابر حصونا مدعمة الأركان متينة البنيان .

ومال رفيق يسألنى : ما أرى فيما يحيط بنا؟ قلت خيرا تبين علاماته ، ونصرا تطلع أماراته . أو ليست هى الصناعة يا صاحبى أمارة النهضة ومقياس تقدم الأمة ؟ قال بلى ، ولكن ألا ترى أن إقامة البلد الصناعى بحرى العاصمة وفى طريق امتدادها عمل غير حكيم . وهو إذا لم يبن أثره الضار اليوم فسوف يتجلى هذا الضرر واضحا حين تتسع رقعة المدينة وتملأ المبانى كل ما يحيط هذه المصانع من فضاء . أما كان يفضل أن تقام مدينة الصناعة قبل الجيزة أو حول أبى زعبل حيث أعدت نواة مدينة العمال ؟

وتطرق الحديث إلى الارتجال وما له من أثر ضار بالجهود الناهضة حديثا ولم تقطعه غير صيحة السائق : لقد بلغنا بهتيم .

وانتهينا إلى مركز مؤسسة الجمعية الزراعية فى بهتيم فاستقبلنا مفتشها الدكتور عزيز فكرى بما عرف فيه من كرم ودماثة خلق ، ومضى يحدثنا عن العمل الذى جئنا فى استطلاعه ، حديثا كشف عن أهدافنا ، وأنار لنا سبيل البحث إلى حد بعيد . حتى إذا انتهى الدكتور من مستفيض بيانه انتقلنا صحبة الموظف المشرف على الناحية الاجتماعية بالتفتيش إلى حيث تبين آثار جهود الجمعية الزراعية وتتجلى خدماتها الجليلة فى سبيل الفلاح .

فى معهد الفلاحة المثالية :

تملك الجمعية الزراعية الملكية فى بهتيم زهاء خمسمائة فدان جعلت منها أنموذجا يحتذى فى كل ما يهم الفلاح : زراعته و بيئته ومسكنه .

أما الزراعة فعناية الجمعية بها تقوم على تلك التجارب التى دأبت منذ عهد طويل على القيام بها ، فهناك تجارب القطن التى وفقت الجمعية بفضلها إلى إيجاد أنواع جديدة ممتازة كان لها أثر كبير فى تحسين قيمة هذا المحصول الحيوى للبلاد ، وهناك تجارب للقمح وتجارب لأثر التسميد بعضها يعمل بانتظام منذ خمس وثلاثين سنة .

وفى جوار حقول الزراعة يرى الزائر مناحل للشهد على أحدث تصميم وحظائر لتربية الأبقار والعجول والخير تباع كلها للراغبين فى إنتاج أنواع ممتازة، وفى حظيرة أخرى شاهدنا تلك الخيل التى يرى فيها العارفون أندر مجموعة عالمية من الجياد العربية الأصيلة . وحسبنا أن نعلم أن بعضها يحدر من سلالة الجياد التى استوردها محمد على باشا الكبير من بلاد الحجاز إبان حكمه لها . ثم طلعنا على فناء الدواجن حيث تقوم الجمعية بتفريخ وتهجين أنواع مختلفة من الدجاج والأرانب الأجنبية والمصرية .

وإن من خير ما تبذله الجمعية الزراعية من خدمات للزراعة وللمشتغلين بها عنايتها بالمسائل الحيوية التى يتوقف عليها نجاح الزراعة، فقد شاهدنا نماذج طبيعية للمصارف المكشوفة والمغطاة وهى نماذج تبين لأصحاب المزارع فضل المصارف المغطاة وأثرها فى تحقيق أغراضها فضلا عن أنها تمكن الزارع من الانتفاع بأرضه كاملة . كذلك وقفنا على تلك التجارب الكبيرة الأثر التى تقوم بها الجمعية لمقاومة يرقات الملاريا فى زراعة الأرز بتجفيف الزرع مددا تقتل فيها هذه اليرقات دون إماتة النبات .

ومما يستلفت النظر ويستوجب الثناء على القائمين بأمر بهيم أن التفتيش رغم انصرافه إلى غايته السامية فى إيجاد وسط مثالى للحياة الزراعية السليمة دون اهتمام بالمكسب المادى فأراضيه لازالت تحقق ربحا محسوسا، وأكبر الظن أن هذا راجع الى ما تتزه الزراعة المعنى بها من محصول وافر يعوض نفقات التجارب، ثم الى ما تستنه الجمعية من حرص على الانتفاع بما لديها من مواد قل أن يعنى بها غيرها، فهى تجهز من مخلفات حظائرها سمادا عضويا ومن قش الأرز بضاعة انفردت باستغلالها، فقد شاهدنا جهازا كهربائيا وعمالا يعملون فى تقطيع سيقان النبات وإعداده كمصاصات للشراب تباع للشارب العامة، وهى تعد مشروعا للصناعات الزراعية لم يحل دون تنفيذه إلا قيام الحرب الحاضرة .

فى العزب النموذجية :

على أن أهم ما يستوجب عناية المشتغلين بالشؤون الاجتماعية هو ذلك العمل العظيم الذى نهضت الجمعية الزراعية بإعداده وتنفيذه فى عزم وشجاعة .

فقد قامت ببناء عزبتين نموذجيتين أصبحتا اليوم قبلة رواد الإصلاح، وكعبة قصاد المعنيين بالفلاح وصحته، الراغبين فى النهوض بمسكنه وقريته . وحسبنا أن ننتقل بالقارئ إلى حيث تقوم العزبتان لنطلعه ما يقوم عليه هذا العمل ومكانه فى نظر رجل الإصلاح الاجتماعى .

ففى العزبة الأولى المعروفة بالعزبة الحمراء يرى المشاهد بضع عشرات من البيوت مشيدة بالآجر الأحمر فى خمسة صفوف بكل صف منها وحدتان يفصلهما طريق عرضه ستة أمتار ، وقد جعلت هذه البيوت مختلفة السعة فبينها عشرون منزلا مساحة الواحد ثمانون مترا ويتكون من غرفتين وفناء وحظيرة للواشى ومرحاض بنى على أصول صحية وروعيت فيها حالة البيئة ، ومنها عشرة منازل اخرى أكبر سعة من الأولى إذ تحتوى على ثلاث غرف وردهة غير المرافق - وقد خصصت هذه للعائلات الكبيرة التى تقوم على زوجين ذوى حرم كأب وابنه وسقوف هذه البيوت من الأسمنت المسلح وأرضيتها مغطاة حجراتها بطبقة مصقولة من الأسمنت ، وهى ترتفع عن مستوى الأرض بمقدار ثلاثين سنتيمترا وقد راعت الجمعية فى إنشاء هذه البيوت تجنيب الفلاح كل ما يضر حياته وصحته إذ أنها :

(أولا) أفردت مكانا ذا باب مستقل للماشية .

(ثانيا) لم تبن مواقد بها للتدفئة أو غيرها اكتفاء بما روعى من إحكام نوافذها .

(ثالثا) خصصت للمخلفات من روث ووقود مكانا مستقلا بعيدا عن المساكن .

(رابعا) يسرت سبيل النظافة للأهلين إذ أعدت لهم ستة حمامات مزودة بالصنابير وبالنافورات الماء وجهزتها بما يمكنهم من غسل ثيابهم .

ولم تقصر الجمعية الزراعية عملها فى بهتيم على إعداد المسكن الصحى فحسب ، بل شاءت أن تضرب لبراة الأمة مثلا كاملا إذ شملت فلاحيها بالرعاية تامة فى كل ما ينهض بأمرهم . فهناك وحدة صحية أنفقت الجمعية فى إنشائها بضعة ألوف من الجنيهات تضم عيادة خارجية ودارا لرعاية الأمومة ، وقد جهزت بما يكفل العناية بصحة عشرة آلاف من سكان بهتيم ومسترد وما حولها ، والجمعية تعد العدة لتسليمها لوزارة الصحة وافتتاحها للعمل . وهناك مدرسة إلزامية أقامتها الجمعية وتولت الإنفاق عليها ومسجد جميل مكتمل المرافق ، كذلك أقامت الجمعية فى قلب العزبة وفى ميدانها الرئيسى مضيفة لفلاحيها جهزتها بالأرائك وقد جعل الفلاحون منها ندوة لسمرهم ومكانا يقيمون فيه معالم أفراحهم ويستقبلون المعزين فى أتراحهم ، كما شاهدنا محلين للبقالة هما من عمل الجمعية التعاونية التى اكتتب الفلاحون برأس مالها .

فى العزبة الخضراء :

وانتقلنا الى العزبة الخضراء حيث أقامت الجمعية مجموعة أخرى من المساكن روعى فى إنشائها الاقتصاد فى النفقات ليكون فى مقدور الفلاح بناء مثلها ، فبينما يتكلف البيت الواحد فى العزبة الحمراء ما بين ١٢٥ و ١٩٥ جنيها ، تكلف البيت فى العزبة الخضراء خمسة وعشرين جنيها .

وتتألف مبانى هذه العزبة من اثنين وعشرين بيتا بنيت فى خمسة نماذج مختلفة ليختار من يشاء من أصحاب الضياع الأنموذج الذى يوافقه ويناسب حالة فلاحيه .

وقد روعى فى بناء العزبة الخضراء من شروط الصحة ما روعى فى نظيرتها الحمراء من فسحة الطرقات ستة أمتار، وهى مسافة تسمح للشمس والهواء أن يملآ كل جوانب البيوت. وقد بنيت هذه البيوت فى ثلاث مساحات ، الأولى تقوم على ١٢٥ مترا والثانية ١١٢ مترا والثالثة ٧٥ مترا ويتألف كل منزل من غرفتين وموقدين (فرنين) واحد للتدفئة والآخر لصنع الخبز .

وقد استلفت نظرنا فيما شاهدنا فى هذه البيوت ذلك الطراز المبتكر الذى وضع تصميمه الأستاذ حسن فتحى وقد بنيت سقوفه على شكل قباب وفى هذا مزايا عديدة سنبينها عند العرض لأمر مسكن الفلاح النموذجى فيما بعد .

فى بيت فلاح :

وتجاور العزبة الخضراء عزبة بهتيم القديمة ، ومع احتفاظ العزبة القديمة بمبانيها فقد أثرت عناية الجمعية فى حالتها تأثيرا ملموسا ، انتقلنا اليها وطرق رائدنا باب أحد المنازل فتكشف عن فناء وحجرات أدهشتنا نظافتها وهى على بساطة ما فيها تكاد تنطق بحسن ذوق صاحبتها وموفور عنايتها ببيتها ، هذا حصير تكاد تحسبه جديدا لفرط نظافته ، وفوق الموقد فرش مرتب ولحاف كسى ملاءة ناصعة البياض لنظافتها ، وعلى النافذة المطلة على الحقل ترى قللا غسلت وملئت وغطيت بأغطية نحاسية لامعة تغريك بالشرب منها .

وليس أدل على روح النظام والترتيب التى تملكت صاحبة هذا البيت من أنها أعدت من الحطب والطين أدوات ومعدات تحكى مابيوت أهل المدن ، هذا مشجب من الحطب المكسو بالطين ثبت فى الحائط وتلك حلقات عملت فى نتوء الحائط تحمل ملاعق خشبية ساذجة .

وحانت منا التفاتة إلى الحائط فإذا بلوحة حمراء مكتوبة بخط جميل تحمل شهادة من الجمعية لأمينة النجدى صاحبة هذا البيت بأنها أنظف فلاحة فى العزبة وانها لهذا منحت الجائزة الأولى وتركت ورفاق البيت معجبين بما شاهدنا من أثر التشجيع فى إعداد البيت النظيف غابطين زوج هذه الأمينة التى أحالت له من هذا الطين المعتم جنة بهيجة وهيأت فيه حياة ناعمة سعيدة ، وكم تمنيت لو صحب رجالنا سيداتهم إلى بهتيم ليروهن ما شاهدنا ويعلموهن أن جمال البيت ليس فى زخرفه وبنائه ولا فى أثاثه ورياشه وإنما هى العناية تبذلها الزوجة فتضفى بها على البيت جمالا ورواء .

العمل الاجتماعى المثالى :

جاوزنا فيما تقدم بعض آثار جهود الجمعية الزراعية الملكية فى خدمة الزراعة والمشتغلين بها، ورأينا كيف جعلت من تفتيشها بقرية بهتيم متحفا يقصده محبو الإصلاح من مصريين وأجانب، وأنموذجا يهوى اليه كل مالك راغب فى النهوض بأمر زراعته وفلاحيه . وليس فى المستطاع بحال حصر ما أنفقته الجمعية فى خلال الخمس والأربعين سنة التى عمرتها من مال بذل فى ترقية الزراعة والزراع، ولا عرض ما بلغه هذا العمل فى تحقيق الغاية التى يهدف اليها، فتلك التجارب الدائمة والتضحيات المستمرة التى تعالج بها الجمعية أمر الزراعة من عمل على تحسين سبل رى الأرض وصرفها، وسعى دائب لاستنباط البذور المفضلة لتنمية محصولى البلد الرئيسيين : القطن والقمح، وجهد لا ينقطع فى اقتناء الجياد الأصيلة، والماشية المدرة، والدواجن الممتازة، وتربيتها والإكثار من سلالاتها — كل أولئك جهود تبين آثارها واضحة جلية فى طول البلاد وعرضها، لهذا نرى أن نقصر حديثنا على العمل الاجتماعى البحت مما له اتصال مباشر بعيش الفلاح فنقول إن الجمعية قد أتمت عملا نموذجيا عظيما وحسبنا فيما بذلت أنها :

أولا — أنفقت ما يقرب من العشرين ألف جنيه فى بناء عزبتيها النموذجيتين وما يتصل بهما من مرافق صحية واجتماعية ودينية وثقافية .

ثانيا — رسمت لأصحاب الأملاك منهاجا عمليا فيما ينبغى أن يقوم به المالك نحو فلاحيه من سهر على راحتهم وعناية بثقافة أبنائهم، وبث لروح التعاون بينهم، هذا الى ما تسديه اليهم من معونة تطلعنا على مبلغ حدبها على هؤلاء واهتمامها بأمرهم ومن هذا :

١ — انها راعت لأول مرة بين الزراع نظم الأجازات المرضية والمكافآت اسوة بما هو مقرر للصناع .

٢ — عملت على مشاركة الفلاحين أفراحهم وأتراحهم، اذ تمنحهم فى الزواج الأول مكافأة شهر إضافى من رواتبهم وتمدهم بإعانات مالية اذا ما قضى أحد ذويهم كما تقوم بتوزيع الكسى واللحوم عليهم فى الاعياد .

٣ — سهرت على نظافة عزبها ونظمت مسابقات دورية تمنح فيها البيوت الفائزة فى كل عزبة جائزة كانت من قبل من الماشية وأصبحت اليوم بسبب غلاء الماشية من الحبوب، وقد لمسنا أثر التشجيع فى هذا جليا واضحا .

٤ — رعت الأرامل من نساء عزبها بايجاد عمل لهن وهو مراقبة نظافة الطرقات وهكذا هيأت لهن كسبا شريفا أغناهن عن مذلة السؤال .

ثالثا — عمدت الجمعية الى ايجاد تقليد حميد شبيه بما يجرى فى أوروبا من الاحتفال بمواسم الزراعة فأوجدت أعيادا للحصاد : عيد لحصاد القمح وآخر لجنى القطن وهى تنظم فى هذه الأعياد مهرجانات ومسابقات فى الجنى والحصاد بين سكان عزبها الثلاث .

مشكلة مسكن الفلاح فى ضوء تجربة بهتيم :

تقوم عزبتا بهتيم الجديدتان على نوعين من البيوت : حمراء وخضراء . وقد تكلف البيت الواحد فى العزبة الحمراء مبلغا يتراوح بين ١٢٥ و١٩٥ جنيها مصريا ، وطبعى أن مبلغا كهذا ينفق فى بناء بيت من غير ثمن الأرض و بغير ما انفق على مرافق العزبة ، مبلغا كهذا لا يمكن أن يكون مثاليا فى إنشاء مسكن الفلاح . ومهما بالغنا فى التفاؤل فيما نكون عليه فى غدنا فقيامنا بمثل هذا العمل أمر بعيد عن كل تصور . لقد أنفقت الجمعية الزراعية فى بناء عزبتها الحمراء الصغيرة ١٠,٣٥٨ جنيها ، ونحن مع اعجابنا بالغاية السامية التى حملت رجالها الأجلاء على التضحية بهذا المبلغ نرى انه كان من الأفضل ان يكتفى باقامة بيتين أو ثلاثة ما دام الغرض مثاليا ، وأن يستفاد بهذا المبلغ الكبير فى إقامة مشروع نافع كمشروع الصناعات الزراعية ليجعل من بهتيم أنموذجا فى الانتاج الصناعى الذى نطمح فى توجيه أنظار شبابنا اليه وخاصة أن هذه القرية قد أحيطت بالمصانع التى تدنو منها يوما بعد يوم وان مستقبل البلد كله رهين تقدم الصناعة .

على أن تجربة إقامة العزبة الحمراء قد اكسبتنا فائدة تذكر اذ وقفنا بها على استحالة القيام بعمل مماثل لما قامت به الجمعية وعلمتنا أن الطفرة بالفلاح أمر عسير المنال .

أما العزبة الخضراء فليس ثمة شك فى أنها خير ما يحتذى فى إنشاء القرية الجديدة فيما يتعلق بطراز مبانيها ، وعندنا أن أفضل أنموذج يصلح لفلاحينا هو ذلك الطراز الذى وضع تصميمه الاستاذ حسن فتحى ولنا فى ذلك ثلاثة أسباب :

الأول — انه لا يتكلف اكثر من خمسة وعشرين جنيها ، وذلك راجع الى عدم استعمال الخشب فى بناء سقوفه .

الثانى — انه معد بطريقة أحكم وضعها اذ كفلت فيه كل أسباب الصحة فضلا عن احتوائه على حظيرة ذات باب مستقل لماشية الفلاح التى ثبت استحالة قبوله امكانها خارج بيته ، وقد كفل هذا الطراز تلافى الضرر الصحى الذى ينتج عادة من وجود الماشية بالبيت .

الثالث — أن انحدار أقبية السقوف يفيد فى تجنب تسرب المطر وفى زيادة سعة فراغ الحجرة فلا يسهل فساد الهواء كما انه يضع الفلاح امام استحالة مادية تمنعه من تكويم وقوده وحطبه مما يسبب الحرائق الكثيرة فى الريف .

هـذا ماتراه فى المسكن ذاته ، أما تخطيط العزبة الخضراء فهو كما تراه ساذج لاجمال ولا جديد فيه غير ماروعى من سعة الطرقات وقيـام البيوت فى وحدات تسمح بتسرب الأشعة وتخلل الهواء فى الحجرات ، وعندنا أن العزبة أو القرية المنشودة ينبغى أن تتوافر فيهـا شروط ثلاثة :

(الأول) تنسيق التخطيط بما يسهل على الأهلين اجتماعهم واتصالهم ، وقضاء حاجاتهم بأن تتلاقى طرقات القرية فى ميدان رئيسى (كما هو الحال فى القرية الحمراء) وأن تشرف على هذا الميدان كل المرافق الحيوية للعزبة كالحوانيت والمضيفة والمسجد والمدرسة ؛ أما الوحدة الصحية فيفضل أن تقام فى ظاهر القرية بعيدة عن مركز النشاط والحركة فيها .

(الثانى) ان تشيد البيوت بأقل تكاليف ممكنة مع مراعاة شروط الصحة والتنـاسب مع حالة البيئة ومقتضيات المناخ كما شاهدنا فى عزبة بهتيم الخضراء .

(الثالث) أن يسهر القائمون بالأمر على نظافة القرية وعلى حفظ بيوتها بالنظام والوضع الذى شيدت به ، فليس يجدى أن تنشئ القرى النموذجية كما فعلت الحكومة فى ميت فارس وسمخراط ثم تترك هذه البيوت المنظمة والتى انفق فى بنائهـا المـال الوفير — تترك للفلاحين دون رقابة فيثلفون باهمالهم ما أعد لراحتهم يبنون بهـا الأفران ويكومون الوقود على أسطحها إنما يفيد العمل إذا سهر المشرفون على رعايته بالوضع الذى ينشدون وهو ماضربت لنا الجمعية الزراعية فيه مثلا باهرا ناطقا .

فإذا أضفنا إلى ماتقدم ماينبغى الاقتداء به فى عمل الجمعية الزراعية وخدماتها التى تبذل لفلاحيها ، إذا راعى أصحاب العزب والمجالس المشرفة على القرى كل ما أسلفنا أمكننا أن ننهض بالقرية وأن نحقق لفلاحينا حياة ترفع من شأنهم ، وترقى حالهم وفى هذا تقدم البلد ورقى الأمة جمعاء .

محمد عبد الكريم

هـذا الانسان

للأستاذ مصطفى صبحى
المدرس بمدرسة الزيتون الأميرية

يقول العلامة هندريك فان لون :

" يبدو هذا غير قابل للتصديق ، ولكنه برغم ذلك حق . فلو أن كل إنسان على وجه الأرض يبلغ ست أقدام فى الطول وقدما ونصف قدم فى عرض الصدر وقدما واحدة فى السمك ، وهـذا لعمرى يرفع مقاييس النـاس نوعا عما هى فى الواقع ، ثم جمعنـا كل النوع البشرى ووضعنا كل ذلك الحشد فى صندوق واحد مكعب طول كل ضلع من أضلاعه نصف ميل لاتسع لنا واحتوانا جميعا ! ... نعم ، قد يبدو هذا غير مصدق ولكن ماذا عليك لو أنك أمسكت القلم وحسبت بنفسك هذه الحجوم ؟ .

إنك ستجدنى صادقا لا أغالط .

ونحن لو نقلنا هذا الصندوق الهائل إلى جبل كانيون فى أريزونا ووضعنـاه متزنا على السفح الجرى المنحدر — خشية أن تتكسر الرقاب — ودفعته يد واحدة مترفقة فإنه ينساب نحو البحر على مشهد من عيون ذلك الشئ السرمدى الذى نسميه الخلود ... وان هذا الصندوق ليستغرق لحظات فى انحداره نحو المـاء ، وانه ليثر أزيزا وتتطاير أمامه الصخور البارزة و يقتلع فى طريقه الأشجار ، وما إن يصل إلى أسفل الجبل و يضرب المـاء حتى يدوى صوته كالرعد القاصف و يعلو رذاذ المـاء إلى السماء ، ثم ينطح صندوقنا جنبات نهر كلورا و يستقر فى أحشائه و يسود السكون ... والعفاء .

وهذه الخلائق التى حشرت كالسردين فى صندوقها المحكم سوف ينسج النسيان عليها خيوطه.

وتبقى قمة كانيون شامخة تتحدى الريح والهواء والشمس والمطر كما فعلت منذ خلقت. وتظل الأرض تدرر دورانها اللانهائية فى فلكها غير المحدود ... ولن يلحظ فلكيو الكواكب الأخرى — القريبة والبعيدة — شيئا غير عادى .

و بعـد قرن من زماننا لن يبقى من مقبرة البشرية أثر سـوى كومة تغطيهـا الطحالب والأعشاب الخضراء .

وهذا هو كل شىء ...

إنى أتصور جيدا بعض قرائى وقد تبرموا ولم تعجبهم القصة فى قليل أو كثير ، وأربأ بالجنس البشرى العزيز الشأن أن يهوى إلى هذا القرار السحيق من المهانة وسوء الافتراض .

على أن هناك ، على كل حال ، زاوية أخرى للنظر فى المسألة ؛ زاوية يتبدى منها كيف أن هذه الخلائق البسيطة وهذه الاجسام الضئيلة خليقة بالإعجاب قمينة بالفخار حقيقة .

فهذه الحفنة الضعيفة من بنى الانسان ما إن ظهرت فى الوجود حتى حفت وأحاطت بها بحافل من المخلوقات أشد بطشا وأقدر على الجلد وإبقاء الجنس . وبعض منافسى الانسان فى الأجيال المتغلغلة فى القدم كانوا من الضخامة بحيث يبلغون المائة قدم طولا وتزن الواحدة منها ما تقدره الآن بوزن قاطرة حديدية . وكانت لبعضها قواطع وأنياب دونها المناشير . مخلوقات هائلة مصفحة أو مدرعة كفرساننا فى العصور الوسطى ، تقلبت عليها الغير وتطورت إلى أكثر من صورة . وعدا هذه عاشت على أديم الأرض مخلوقات أخر لم تقع عليها عيون الناس ، تكاثرت فى سرعة زائدة حتى أوشكت أن تسيطر على فيافى الأرض فى عام أو بعض عام لو لم يقف لها بالمرصاد أعداء أشداء قضوا عليها بمثل السرعة التى توالدت بها .

وإذا كان الإنسان لم يستقر إلا فى أحسن البقاع وأحدبها عليه ، والتزم البقاء فى اليابس المتوسط بين الجبال العالية والبحار العميقة فانه فى الواقع لم يقصر باعه عن قاع المحيط ولم يرتد حسيرا عن قمة الجبل لبلوغ غاياته . إنه ولا غرو خلق من مادة استطاعت أن تنمو وتعيش برغم كل ما أحاط بها .

ولو علمت من بحثك فى العقاقير السامة أن أنواعا من الحشرات تلقى بنفسها مرحة فى البترول الذى لاتستسيغ مذاقه . وأن غيرها يكيف حياته بمختلف التغيرات الجوية التى لو تعرضنا لها لأودت بنا فى لحظات . ولو كشفت فى ارتياع صادق كيف أن هذه الصراصير التى نراها تقتحم مكتباتنا وتدور حول مؤلفاتنا كأحب ماتكون للأدب واللوم تظل دائبة فى سيرها و إن تقطعت من أرجلها اثنتان أو ثلاثة أوأربعة ... بينما نحن لووخزتنا إبرة فى اصبع القدم عجزنا عن كل حركة . لو تأملت فى هذا كله لأدركت أى الجبابرة كانت تنازعنا البقاء منذ ظهورنا فى الوجود .

لعمرى كم أضحك الإنسان الأول لذاته القـدامى من الزواحف وذوات الأربع وهو يحاول بينهما لأول مرة الارتكاز على قائمتيه الخلفيتين ويجرب أن يستقيم واقفا وأن يخطو غير مستعين بجذع أو غصن شجرة .

والآن ماذا كان منه وماذا كان منهم ؟ . . أما هم فقـد تقلص معظمهم وانقرض ولم يبق منهم سوى عظام تفضلنا عليها بركن فى متاحفنا فى الغرفة ! و ب للاستدلال بهـا فى التاريخ الطبيعى. وغير هذه لكما يعيش من ارتضى فى ذلة وخنوع أن يهبط إلى خدمتنا فيحمل أثقالنا أو يجر عرباتنا التى تعجز عن جرها سواعدنا الواهنة ... وغيرها فى مقابل أن نمنحها البقاء ينزل لنا عن بيضه ولبنه وصوفه بل ولحمه وجلده أيضا . . وغير هذه وتلك مخلوقات نأت عن طريق الانسان وعاشت على هامش الكون فى وهاد الصحراء أو ظلمات الغاب حيث سمحنا لهـا أن ترعى العشب والكلأ لتحافظ على جنسها ، وماذلك إلا لأنا لسنا بعد فى حاجة إلى ما تشغله من الأرض ولا يتسع وقتنا لإزاحتها .

و بالاختصار فإنه خلال أربعة آلاف قرن من السنين — وهو مايساوى ثانية فى تقدير الخلود — جعل الجنس البشرى نفسه الحاكم غير المنازع على كل شبر من الأرض وها هو الآن يكافح جدا ليخضع لمشيئته الهواء والمـاء و يدخلهما فى دائرة نفوذه . وهذا كله — إذا كان يعجبك — ليس إلا عمل بضعة مئات من الملايين ميزهم الله على الحيوان بالهبة المباركة التى هى العقل . . .

وحتى فى هذا أرانى مبالغا .

فالعقل الجبار الذى قادنا إلى كل هـذا المجد والسؤدد على سائر المخلوقات لم يمنحه الله جزافا لكل البشر . و إنما خص به بدرة منا ، كانوا هم القادة وكان من عداهم — ولايهمنى بأى غضب واحتجاج يعارض كلامى — أتبـاع ولا شىء غير أتباع . و إنك لتجد أكثر من رجل واحد يحمـل المشعل ويضىء الطريق أمام عشرات الألوف من الهائمين فى بيداء البحث .

أما أن يمضى السبيل بالبشرية إلى مالا نهاية له فذلك علمه عند ربى ، و إن تكن الأدلة بينـة على أن الانسانية ستظل ماضية فى موكبها لاتنى ولا تتقاعس ، مالم تزح عن طريقها إزاحة بفعل القسوة والضغينة والبغضاء المتوارثة فى صـدر الانسان لأخيه الانسان . هـذه الكراهية المشؤوم التى تسوقه للتنكيل ببنى جنسه تنكيلا لا يرضاه لبقرته أو كلبـه أو حتى شجرته "

وكأنى بهذا المؤرخ لو وضع كتابه سنة ١٩٣٩ بدل أن يضعه سنة ١٩٣٣ لتساءل : لم هذه الحرب الضروس التى تفتك بالبشر ، ولم هذه الوسائل الكبرى تهدم وتهلك حتى لتغطى ظهر الأرض وتملأ قاع البحر بأجسام الضحايا ؟ ... وما لهذا الشواظ النارى يلتهم الأبرياء من المدنيين بعد أن يأتى على التعساء المحاربين ؟ وما تلك القنابل الحارقة والمتفجرة تدك المدن وتحق البيوت على رءوس ساكنيها الآمنين ؟ . وفيم الطمع والجشع والكذب والبهتان ؟ ... عجيب أن تتحجر القلوب وتضيق الصدور فلا تتسع بعد للرحمة والبر والقناعة ! ترى أين ذهبت الأمانى الطيبة والعواطف السامية وكل ما نعبر عنه بكلمة الانسانية ؟ ...

ويمضى فان لون فى حديثه الذى قطعت فيقول : "هذه الأرض التى تأوينا ، كم هى عطوفة علينا رءوفة بنا ، إنها تنبت طعاما كافيا لكل أحد ، ولديها المحاجر واللبن والأشجار التى تساعد كل فرد على بناء مسكنه ، وفوق أديمها ترعى الشاة فتجز صوفها ويزرع الكتان والقطن فنكتسى بما يرد غائلة البرد ولفحة الحر ، وهذه أشجار التوت تعيش على ورقها دودة القز فتعطينا الحرير فلا ينقصنا من كمالنا شيء . لا ، بل لا يذهب إلى قبره إنسان إلا وقد تغطى باللفائف من قمة الرأس إلى أخمص القدم . على أنا لسنا برة بأمنا الحدوب الرءوم ، بل إنه ليس على ظهرها من هو طباع أشر كهذا الانسان ، إنه المخلوق الوحيد الذى يقسو على بنى جنسه ويتربص بأخيه ليقضى عليه ويورده موارد التلف ، فالكلب لا يأكل الكلب ولا النمر يغتال النمر ، بل إن الضبع على حقارته وخسته يعيش فى سلام مع بنى جلدته ، أما الإنسان فإنه يكره الإنسان ويقتله ... وفى هذا العصر الذى نعيش فيه نجد غاية الأمة الواحدة ومثلها الأعلى أن تتربص بجارتها لتنزل بها الهلاك وبودها لو تقضى عليها بالفناء .

وكأنما نسى العالم أن المادة الأولى من قانون الخليقة تحتم أن تتحد وتتحاب جماعات النوع الواحد لتحافظ على نوعها بين سائر الأجناس ، لا أن يغرقوا فى الخصومة ويتنافسوا فى البطش بعضهم ببعض ، حتى لأخشى أن تكون هذه بداية النهاية للجنس البشرى . فإن منافسيه له بالمرصاد . وإذا كان الانسان قد عجز أو لم يعد راغبا فى حمل اللواء وأعباء السيادة على وجه البسيطة فهناك آلاف من المخلوقات تتهادى على مر القرون إلى مكانه لتتبوأه . ومن يدرى ؟ لعل هذه الحيوانات التى نراها الآن من حولنا ترمقنا فى صبر وأناة وتمتثل لأوامرنا ، سوف تحتل يوما مقاعدنا وعندها تسيطر على مقدرات العالم عذه القطط أو الكلاب أو الفيلة أو غيرها من الحشرات الممتازة (وكم هى الآن متحفزة تنتظر الفرصة !) .

فهل للبشر أن يبحثوا عن وسيلة للهداية تقودهم إلى شاطئ الأمان فى هذا الخضم العجاج المتلاطم الأمواج قبل أن تغرقهم سيئاتهم فى لجته .

إن غرضى مما قدمت هو التنبيه إلى جهالة الماضى وتخبط السلف وهداية هذا الجيل إلى نعمة الانسانية الحقة . وقد تمضى بنا فى بطء ونصب وآلام مئات السنين قبل أن تقودنا التربية الكاملة إلى طريق الخلاص . وهذا الطريق سيمشى بنا إلى الشعور بأنا جميعا إخوة على هذا الكوكب السيار ، وما إن تثبت هذه العقيدة السامية فى أذهاننا وندرك أن الأرض لنا وحدنا فى الخير والشر ، وأنه لامكان لنا سواها ندب فيه ونسعى . وما إن نفهم جيدا أن أمنا الأرض الحنون تقتضى من بنيها أن يعيشوا فى رضابها إخوة متحابين وأن مثلنا عليها كمثل المسافرين فى قطار أو على ظهر باخرة تمضى بنا إلى حيث لا نعلم — أقول ما إن تستقر فى أفئدتنا هذه الحقيقة حتى نكون قد خطونا الخطوة الأولى والأهم نحو الحلول الموفقة فى مشكلاتنا المعقدة التى هى الأصل فى كل متاعبنا .

نحن فى سفرنا العابر على ظهر هذا الكوكب ينبغى أن نحس إحساسا مشتركا ، فما يؤلم أحدنا يؤلمنا جميعا ، وما يطربه يطربنا معه .

سمنى حالما أو مجنونا أو هائما فى بيداء الخيال أو ماشئت من الأسماء . . أو استدع رجال الشرطة أو عربة الإسعاف لتحملنى قسرا إلى بعيد حيث لا تصل إلى سمعك هذه الهرطقة غير المستحبة . لكن انتبه إلى هذه الكلمات واستذكرها فى ذلك اليوم القمطرير المشؤوم ، يوم يرغم بنو الإنسان على جمع لعباتهم وتسليم مفاتيح سعادتهم إلى وارث أجدى حظا وأكثر استحقاقا ؛ ان الأمل الوحيد لبقاء جنسنا البشرى يتلخص فى هذه الكلمات : " إنما نحن على هذا الكوكب الواحد مسافرون عابرون ، ونحن جميعا متضامنون فى توفير السعادة واليسر للعالم الذى نعيش فيه "

مصطفى صبحى
مدرس الآداب بمدرسة الزيتون الأميرية

ظلم الحمامة فى الدنيا وإن حسبت
فى الصالحات كظلم الصقر والبازى

المعرى

الغـــيرة

دوافعها الجنسية والأنانية — أثرها فى الاجتماع ووضع قوانين الزوجية — تحليلها فى علم النفس — الغيرة كمرض عصبى — تأثيرها السيئ على الحياة الصحية — علاجها

للأستاذ حسن مظهر

لعبت الغيرة دورا هائلا فى الحياة الاجتماعية من يوم الخليقة إلى الآن، ولم يقتصر دورها على الانسان فحسب ، بل تخطاه الى الحيوان ... فكل مخلوق يغار حتى الأطفال ، حتى الطير، حتى بعض الحشرات والأسماك، وذلك لأن الغيرة غريزة تثور وتنفعل بدافعين خطيرين لايمكن اغفالها فى حياة أى مخلوق، وهما الحب الجنسى والحب الذاتى .

وقد قسم قاموس وبستر Webstor الغيرة الى نوعين : الأول وينشأ من العلاقات الجنسية ، وهو عبارة عن شعور أو قلق ينتج من خوفنا من مزاحم قد يسلبنا قلب الشخص الذى نحبه ، أو ينتج من الشك فى أن هذا المزاحم البغيض قد سلبنا فعلا ذلك القلب .

أما النوع الثانى فينشأ من حب المرء لذاته ، وينتج من كراهة الانسان لشخص غيره يتمتع بالفائدة التى يتمناها لنفسه ، أو ينتج من الخوف من أن يتمكن الشخص المشار اليه من التمتع بالفائدة المذكورة .

وتشاهد هذه الغيرة المتولدة من الإثرة وحب النفس شائعة بين أهل المهن الواحدة وفى كثير من الأوساط العائلية والأدبية ، وهى إذا كانت مستترة فى بعض الناس فلا يعنى ذلك أنها معدومة ولا وجود لها، ولكنها ككل غريزة تكون داجعة كامنة وتظهر فى المناسبات والحوادث التى تستفزها الى الظهور ، فقد يكون الأطفال أو الإخوة ينعمون بحياة وادعة لا يعرفون فيها الغيرة إطلاقا ، ولكنهم إذ يلاحظون أن فائدة هامة قد اختص بها أحدهم دونهم لا يلبثون أن يحسوا سريعا بالحزن والغضب ، واذا بانفعال الغيرة يحول فى قلوبهم ، فنجد الطفل عندئذ يحاول أن يضرب أخاه ليأخذ منه العوبة أعطاه إياها أبواه ... كما نجد الأخ الكبير يكظم غضبه على أخيه الصغير فيحقد عليه ، لأنه ظفر بعطف أبويه ، أو لأنه حظى بميراث دونه .

ولعل أبرز مثل على هذه الحالة قصة يوسف الصديق عليه السلام ، فقد غار منه إخوته وكرهوا رؤيته لأن أباهم يعقوب أحبه أكثر منهم ، فكان أن ألقوه فى بئر ماء وقالوا إن الذئب قد أكله منهم وهم عنه غافلون .

وكذلك قصة المأمون والأمين ولدى الخليفة العباسى هارون الرشيد ، فقد حقد الأمين على أخيه من أبيه المأمون لأن الأخير كان ينعم أكثر من الأول بعطف الرشيد حتى عقد له ولاية العهد ، فكانت منازعات وحرب ، ولم يستقل المأمون بالملك الا بعد مقتل أخيه الأمين فى خراسان .

ويستغل رجال التربية شعور الغيرة الأنانى فى دور العلم ورياض الأطفال ، لأن معظم الطلبة أكانوا صغارا أم كبارا يميلون الى الطموح والاستعلاء فيغار بعضهم من بعض ويتنافسون محاولين الفوز بقصب السبق على الآخرين ، حتى يحوزوا رضاء المربين أو الجوائز الأدبية والعلمية .

كما لوحظ أن التجار وأرباب الأعمال ينافسون بعضهم بعضا بدافع الغيرة الناشئة من الإثرة ، إذ ينظر كل منهم الى الآخر نظرته الى مزاحم يتهدده فيما يرجوه لنفسه من الربح والنجاح ، ومن ثم يندفعون الى تحسين أعمالهم بالكد والابتكار لاكتساب ثقة الزبائن والعملاء ، وقد يندفع بعضهم الى طريق الشر والكيد للتخلص من المنافسين .

ومن هنا كان للغيرة الأنانية خطرها على الحياة الاجتماعية العامة ، فهى كثيرا ما تتحول من شعور بالضيق والكراهة الى أعمال كيدية انتقامية لا توقع الأذى بفرد أو بجموعة من الأفراد فقط وانما بشعوب وأمم بأسرها ، وذلك ما حدث فى التاريخ لكثير من الدول مزقتها غيرة حكامها بعضهم من بعضهم ، وخلافهم فى سبيل الحظوة بالسلطة والرياسة ، وأكبر حادث فى التاريخ الاسلامى من هذا القبيل تمزق وانهيار دولة بنى الأحمر فى الأندلس .

الغيرة تساعد على تأسيس نظام الزوجية :

ونعود الى الغيرة الجنسية فى المجتمع الانسانى القديم والحديث ، فنجدها قد أدت الى وقوع كثير من المعارك بين الرجال والقبائل فى المجتمعات البدائية ، فقد كان من عادة أهل تلك العصور السحيقة أن يحتكر شيخ القبيلة لنفسه أجمل الفتيات الصغيرات ، مما يستثير غيرة الشبان ويجعلهم يتطاحنون ويتقاتلون ، كما كان الزواج يتم بنظام همجى خال من الروابط المدنية والسنن الدينية ، ومنه زواج الجملة وزواج الاشتراك ، ومنه اقتناء النساء ، بالمال أو بالقوة... وهذا ما بعث بالغيرة تجول وتصول فى تلك الهيئات حيث صار الكثيرون يتطلعون الى ما فى حوزة الآخرين من النساء ، ويستخدمون لغايتهم العراك والاعتداءات .

وكان طبيعيا أن تلفت هذه الحال الفوضوية نظر الناس الى ضرورة وضع قوانين للعلاقات الزوجية تحول دون المنازعات الجنسية ، فظهرت أولا شرائع الزواج المدنية التي تعتبر المرأة ملكا أو متاعا للرجل ولا يحق لرجل آخر أن ينازعه ملكيتها ، ثم تعدل نظام الزواج فأصبح اجتماعيا مقيدا بالحقوق والواجبات الشرعية ، وهكذا كانت الغيرة من أهم العوامل التي أسست النظام العائلي الاجتماعي ...

تحليل شعور الغيرة :

وقد حلل بعض العلماء شعور الغيرة الجنسي فعبروا عنه بأنه نوع من الملكية ، بدعوى أن الرجل يملك زوجته ومن ثم يغار عليها ، وهو تعبير خاطئ مستمد من فكرة اعتبار المرأة متاعا ، ويهدمه أن الممتلكات مهما يكن شأنها من الإعزاز يمكن بيعها مقابل مبلغ مرض دون أي شعور بالغيرة ، أما في الزواج فلا تحتمل الغيرة فكرة مشاركة الملكية مع شخص دخيل.

والتعريف العلمي الصحيح لغيرة الجنس أنها لون من ألوان الغضب العنيف على منافس يعكر صفو الانسان ويتهدده في شيء عزيز عليه . . وهي في الوقت ذاته محاولة من المرء ليمنع شعوره بالانحطاط . أي ثورة نفسية منه دفاعا عن كبريائه وعزة نفسه. وذلك لأن الانسان المرتبط بخطيبة أو المقترن بزوجة يحس أن شخصيته معظمة في نظر نفسه لأنها محترمة في نظر شريكته ، كما يشعر بسعادة من عطفها عليه وحبها له . بيد أنه عند ما يظهر له شريك ، أي خصم ، يحظى بالتفضيل عليه يدرك في الحال بأنه قد اعتدى على حقه فينقم على هذا المعتدي ، ثم يحس أن كبرياءه قد أهانتها زوجته ، وأن رجولته قد احتقرتها بخيانتها وإيثارها شخصا عليه ، فيحنق على هذه الزوجة المنحطة ويشمئز منها ، كما يشعر بأنه قد فقد تلك السعادة العزيزة من المحبة والوفاء اللذين تحولا الى غريمه ، فيتألم ويكتئب. ولايدري إلا وهو يغلي بمجموعة مشاعر قاسية طاغية ، هي الغيظ والاشمئزاز والألم . وهذه المشاعر الهائجة تتألف منها الغيرة ، وقد تجيء في بعض الأحيان مندفعة عمياء الى حد أنها تغرق العقل في موجة من الصخب واليأس لا يستطيع معها الانسان حكم نفسه ، فينطلق بغير مراجعة الى الانتقام إرضاء لرجولته الجريحة وشرفه المهان . وقد يعتدي في ثأره بالقتل . . وقد يجن !

ونحن نقرأ كثيرا في الصحف عن هذه الغيرة اليائسة القاتلة وكيف أثمرت جرائم مروعة ذهبت فيها الأرواح ، كما حدث في فاجعة المرحوم الضابط شكيب منذ نحو عام . . . كما طالعنا قصصا دامية عديدة تدور حول هذه الحالة المروعة من الغيرة ولعل أبلغها قصة ميديا Midea التي وضعها القصصي الإغريقي الخالد "يوربيد" وصور فيها "ميديا" التي كانت تعيش عيشة راضية مع زوجها "جاسون" فأصابتها نوبة الغيرة الجنونية إذ رأت رجلها يريد

الزواج من غيرها ، فسخطت عليه الى حد أنها كرهت أطفالها الذين أنجبتهم منه فعمدت اليهم فقتلتهم ودست السم لمزاحمتها العروس وأحرقتها بالنار !

كما نجد تحليلا علميا دقيقا لهذه الغيرة فى قصة عطيل " Ottells " التى ألفها الشاعر الانجليزى الشهير شكسبير . فقد اشتعلت نفس عطيل — وهو قائد بربرى — عند ما أبلغه أحد أصدقائه الوشاة كذبا أن زوجته " ديدمونه " تخونه ، ففقد قواه الواعية ولم يتمهل أو يتأمل ، بل اغتال زوجته . . . على أنه عند ما وقف على الحقيقة وأنه أزهق الروح بالظلم أنبه ضميره ولم يسعه إلا الانتحار بجانب قتيلته البريئة . .

الغيرة المريضة الوهمية :

وقد اتضح للباحثين فى علم النفس الحديث أن المصابين بالأمراض العصبية ومدمنى الخمور هم أشد الناس غيرة على الاطلاق . . . فهؤلاء يتشككون بطبيعتهم ، ويهتاجون من أى مؤثر ، ويكون هياجهم النفسى فظيعا عند ما يزعمون أو يتصورون أن هناك خيانات من شركاء حياتهم . ويعتبر العلماء غيرتهم ضربا من المرض أو الجنون .

وأصحاب هذا المرض يعكرون صفو حياتهم بأيديهم ، ويسممون هناءهم الزوجى والعائلى ويملأون جوهم بالقلق والعذاب . إذ غالبا ما تخترع مخيلاتهم خيانات وهمية يظلون يفكرون فيها ويكبرونها . فيؤولون كل حركة وكل كلمة بحسب أذهانهم الملبدة بوهم الخيانة ، وكل ما يرونه أو يسمعونه يزنونه بميزان الغيرة ! وقد يثور إحساسهم من مجرد حكاية فارغة أو نظرة بسيطة ، بل حتى موقف الدفاع عن خادم يتخذونه سندا للاشتباه والاتهام ! ولا يكتفون بذلك وإنما كثيرا ما يلجأون الى وضع شركاء حياتهم تحت الرقابة ، فيرسلون فى أثرهم المخبرين ويبثون العيون لمعرفة ماذا يفعلون وأين يذهبون !

وهم يأتون هذه التصرفات بدافع فرط حبهم ، معتقدين أنهم يمنعون بها الخيانة المزعومة التى تفزعهم وتبلبل خواطرهم . . . غير أن الحقيقة أن تصرفاتهم تنعكس ضد غرضهم ، فتأتى لهم بما كانوا يخافونه وهو تدمير سعادتهم الزوجية وإبادة الحب والوفاء . . إذ لا ينتج هذا الضغط المتوالى وهذه الهستيريا المزعجة غير توليد الشحناء ومضاعفة النكد والبغضاء مما ينتهى دائما بتحطم العائلة ويؤدى بالغيورين الى المصحات العقلية ، أو الى السجون لارتكابهم الجرائم فى لحظات الجنون . . .

وخطورة غيرتهم أنها ليست شعورا مؤقتا يذهب بذهاب أسبابه ، ولكنها شعور مرضى ، متابوع ، دائم ، متكرر الثوران لأتفه الأسباب .

وقد قام العالم النفسانى المعروف ادلر Adler بأبحاث قوية فى هذا الموضوع فظهر له أن هؤلاء المرضى تصدر منهم أنواع غريبة للغاية من الأعمال . . . فهم يعيشون فى كهف نفسى مظلم تطاردهم فيه أشباح الأوهام وتتضخم فيه عوامل الكمد والانتقام . ومن خصائصهم أنهم تنقصهم الثقة بأنفسهم بأنهم محل حب زوجاتهم ، ولذا فانهم فى خوف وتقلقل دائمين من هذه الناحية . كما أنهم يحاولون دائما بباعث غيرتهم العصبية أن يعلنوا عن شخصياتهم بالحديث الكثير وبادعاء المفاخر والتظاهر بالعظمة لكى يجتذبوا اليهم أنظار محبوبيهم وينالوا تقديرهم . ومن عادتهم أنهم يحصرون فكرهم فى ملاحظة مبلغ تأثيرهم على محبوبيهم ومراجعة ما حدث منهم وتأويله بما تتطلبه غيرتهم . . .

كما ظهر أن الناس المسنين تلتهب غيرتهم دائما اذا اقترنوا بمن هم أقل منهم أعمارا بفارق كبير . وسر ذلك أن كبار الأسنان لا يثقون بأنفسهم كمحبين لائقين ، ولهذا يغارون بعكس الأشخاص المعتزين بشخصياتهم ولياقتهم .

وغيرة العجائز حادة شنيعة ، لأنها رد شعورهم العميق بالعجز ، ومحاولتهم تحقيق المستحيل فى أن يستحيلوا شبابا ، ويأسهم من أن يتحكموا فى شركاء حياتهم .

ويعتقد عالم النفس "ستندال" ان النساء تعانى غيرة أعنف مما يعانيه الرجال . ويعزو أسباب ذلك إلى أن المرأة ترى فى الزوجية كل مستقبلها وهنائها ؛ فاذا ماطرأت عليها مزاحمة تريد سلب مركزها ، فانها تنقد بالغيرة وتكاد يضل عقلها . وهى فى ضلالها وثارها تستخدم الحيل الاجرامية كطرق الإيقاع ودس السم وما اليه . وإن كيدهن لشديد !

ومن الغيرة المرضية مايأتى ردا لشعور الشخص بذنبه ، فقد يذنب أحد الزوجين ويخون شريكه فى الخفاء . ولكنه لا يعتم أن يقع من حيث لا يدرى تحت تأثير الشك فى شريكه البرئ ، إذ يتوهم أنه يخونه أيضا ، ثم يعتطى بنار الغيرة !

وكذلك يثور هذا الشعور المرضى ضد مزاحم تافه لا أهمية له . كأن يغار أحد الشريكين من أن شريكه يهتم بكلابه أو ثيابه أو خيوله أو كتبه أو زهوره . إذ يرى الشريك الغيور فى هذه الأشياء مزاحما يشغل عقل وميل شريكه ويمنعه من الوجود معه . وكثيرا ما سممت هذه الأشياء حياة الأزواج حتى لقد وقع الطلاق بسببها فى بعض الحالات ! .

تأثير الغيرة وعلاجها :

والغيرة شعور مكروه يؤذى ويعذب الجنسين على حد سواء ، ولها تأثير ضار على الجسم والصحة العامة ، فهى تؤثر على الكبد وعلى بعض الغدد ، وعلى ضربات القلب ونظام النفس وعلى الجهاز الهضمى ، وصاحبها يكون أصفر اللون ، مكتئبا ، مضطرب الأعصاب ، وهى

تعجل فى شيخوخته وتغير منظر سحنته . وإذا استشرت معه أصابته بالأمراض العصبية وأخصها "الماليخوليا" و "الهستيريا"، ويعدها العقلاء ضربا من الحمق ان لم يكن الجنون .

وذوو الشخصيات السليمة القوية يستفيدون منها لأن انفعالها يجعل العقل ينشط أكثر من عادته ويفكر بنظام جديد قد يتخلله الالهام . وهنا تتكشف لهم الحقائق وحلولها فان وجدوا خطأ أصلحوه فى تبصر واتزان .

أما أولئك الغيورون المرضى الذين مر ذكرهم فخير علاج لهم هو إظهار تفاهة السبب الذى أهاجهم . وإذا تفاقمت حالتهم المرضية فيمكن للطبيب أو صديق العائلة أن يصلح الأمر بالاقناع والايحاء المهدىء لإزالة ما علق فى مخيلاتهم من الأوهام التى لا تستند على الدليل والإثبات، لأن الشخص المشتبه فيه لايستطيع أن يقنع شريكه ببراءته ما دام هذا الشريك يتهمه ويعتقد باثمه .

ويجب على المرء أن يحتفظ فى جميع حالات الغيرة برويته وتبصره فلا تغلبه نفسيته ، والا يخط إلى درك الوحشية بالانتقام وهو إجرام ... يجب عليه ألا يندفع بابرام الحكم وتنفيذه وألا يتبع هواه :

فآفة العقل الهوى فمن علا على هواه فقد نجا

حسن مظهر

من كلام الإمام على

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته ، فكان عن نفسه فى شغل، والناس منه فى راحة .

كيف ينبغى أن تكون الاخلاق لتحقيق سلام عائلى

للأستاذ عطيه مصطفى مشرفة

الشعور بأمراض الأسرة وآلامها والعمل على ما يحقق وجود العدل الاجتماعى فيها وكفالة توزيع المغارم والمغانم بين أفرادها، يدل على سمو الأمة الخلقى وكمالها الأدبى، ويبرهن على أن كيانها الاجتماعى يقوم على أساس سليم وطيد . فالأسرة هى قطب دائرة الأمة والنواة الاجتماعية الأولى للمجتمع المصرى . والانسان مدنى بطبعه ليس فى قدرته أن يظل منعزلا عمن حوله فهو محتاج دائما إلى مساعدة غيره له فى كل أطوار حياته ، فالأسرة إذن هى أول خلية اجتماعية وجدت فى الجنس البشرى ، وهـذه الوحدة الاجتماعية الأولى اشتملت على جمع من الأفراد ربطتهم صلة القرابة وجمعتهم رابطة الدم والنسب، فأفراد الأسرة متضامنون يحافظون على أموال أسرتهم وحقوقهم ويحمون أفرادها . لذا قال أرسطو " إن الأسرة هى مصدر الدولة وأساسها الذى تقوم عليه " فكان رب الأسرة يدير شئونها الداخليـة ويتولى أمورها الخارجية أمام الجماعات الأخرى وفقا للتقاليد والعادات .

الخزانة العامة لا تستطيع فى حدود مواردها أن تنهض بأكثر مما تنهض به من الخدمات الاجتماعية الحالية . فيجب أن تنهض إلى جوارها جهود الأفراد فى الأسرة ، هذا بفكره وذاك بوقته وذاك بماله ، إذ لا يستحق أن يسمى إنسانا من لا يشعر بحق أخيه الإنسان . إن الشرائع الإنسانية والسماوية توجب علينا أن نوجد للشيوخ والعجزة ما يخفف عنهم البؤس والهوان ، وألا نترك الأطفال يعانون شظف العيش والحرمان ، وإلا نذر اليائسين يذرفون دموع الأسى والآلام لأنهم محرومون من الطعام والمأوى والكساء .

كيف يهنأ الغنى فى أسرته بلذيذ المأكل ومرىء المشرب وفاخر الملبس ولذيذ العيش ، وبعض أقاربه الفقراء صفر الوجوه غائرو العيون ، يبيتون على الطوى جائعين غير كاسين ، يتقلبون على فراش الآلام والسقام مرضى منهوكين ؟ .

لقد جمدت النفوس وتحجرت الأفئدة وغاض الاحسان وقل رصيد الوفاء .

خص الله سبحانه بعض أفراد الأسرة دون بعضها بالمال ، نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج جزء من مالهم يؤدونه إلى من لا مال له ، بلغ ربع العشر أى ٢,٥٪ حتى يبعد عنهم نظرة الحقد من فقراء أسرته . قال تعالى :

" خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا (١) " .

وقال عليه الصلاة والسلام "أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم" .

فالتضامن الاجتماعى فى الأسرة بين المتمتعين والمحرومين هو أحد مشاكلنا الاجتماعية . وغنى الأسرة لا يتبرع إلا اذا لاح له ولو عن بعد بريق رتبة أو نيشان .

الأخ الغنى متباعد عن الفقير ، والقريب الغنى متباعد عن صلة ود قريبه البائس ويتجاهل وجوده وقرابته . والتراور يكاد ينقطع بين أفراد الأسرة الأغنياء وأفرادها الفقراء ، الموظف الكبير فى الأسرة يتجاهل الموظف الصغير فيها ، موائده وحفلاته فى المواسم والأعياد وغيرها خالية من هؤلاء البؤساء الفقراء الذين هم أقرب الناس اليه ، مزدحمة بأثرياء لا صلة له بهم . فهو فى أفراحه يجتهد فى أن لا يدعو الفقير من أهله وعشيرته ، وفى أتراحه يخجل أن يراه . بل إن من أفراد الاسرة من يقف يشايع الظلم ويؤيد رغبات تنافى الدين والمروءة وتخالف ماقضى به الله سبحانه وتعالى حتى يتمتع هو غنيا ويلزم الفقر أخاه المحروم أو أخته المحرومة من الاستحقاق فى وقف ، وقد يكون الواقف أبا لهما ، مع أن الله فرض الفرائض فى سورة النساء بآيات التوريث وأكدها بقوله :

" تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢) " .

ناسيا أن الظلم لا يعتبر حقا مكتسبا فى أى وقت من الأوقات ، وأن واجب الفرد فى الأسرة أن يرد هذا الظلم ويرفعه على الأقل فى دائرة أسرته ، وأن يهد الجو بين أفراد أسرته لاحقاق الحق ولإقامة العدل ، فالشرائع السماوية تحض على تحقيق المساواة بين الناس ولا تقبل أن ينعم القليل من الأسرة فى بحبوحة من الرفاهية وسعة من الرزق وأن تتضور الأغلبية جوعا .

(١) سورة التوبة آية ١٠٣

(٢) سورة النساء آيتا ١٣ و ١٤

لماذا نفشل فى حياتنا الزوجية ؟

للأستاذ عيسى متولى

حين فكرت فى اعداد هذا الموضوع ، استعرضت أمامى صورا لأزواج وزوجات سعدوا فى حياتهم الزوجية وسعدت بسعادتهم فلذات أكبادهم ، وأظلهم الهناء بظله الوارف ، ثم استعرضت صورا أخرى لأزواج وزوجات خانهم التوفيق ففشلوا فى حياتهم الزوجية ، وانهارت صروح هنائهم ؛ ورحت أبحث عن العوامل التى انتهت بهؤلاء الأشقياء الى الفشل وعلى ضوء هذا البحث كتبت هذا الموضوع .

* * *

الزواج رابطة مقدسة تربط بين قلبين فتجعل منهما قلبا واحدا فى جسدين ، يشعران شعورا واحدا ؛ فاذا كان الزواج موفقا قائما على أسس قوية سليمة سعد الزوجان بأكبر قسط من الهناءة ، ورفلا فى بحبوحة الرغد ؛ أما إذا لم يقم الزواج على أساس قوى سليم فان البيت لا يلبث أن تتصدع جوانبه ، وتسوده الفوضى ، ويعمه الاضطراب ؛ فينقض وينهار .

وإذا أتيح لنا أن ندرس تلك الحالات التى تنتهى بالفشل ؛ وجدنا أن الفشل فى الحياة الزوجيه يعزى الى أسباب كثيرة متعددة ، فهى بمثابة معاول الهدم التى تهدم عش الزوجية ، وتفرق بين الزوجين ، ولو قدر لهؤلاء الأزواج والزوجات أن يتداركوا ما وقعوا فيه من الاخطاء التى كدرت صفو حياتهم ، وسببت انهيار صروح سعادتهم وأمانيهم ، لما انتهت حياتهم الزوجيه الى هذا المصير المحزن .

* * *

يخطىء الكثيرون فى تفهم حقيقة الزواج والغرض منه ، إذ يسيطر حب المادة على قلوبهم وعواطفهم فيصرفهم عن الاهتمام بالنواحى الأخرى فى الزواج ، فترى طالب الزواج يؤثر الناحية المادية بجل عنايته واهتمامه ؛ فهو لا يهتم بأية ناحية فى الزوجة بقدر ما يهمه إيرادها الشهرى وما يملكه أبواها من عقار ، وعدد أشقائها وشقيقاتها ، ونصيبها من هذه الثروة وما عساه أن يؤول اليها بعد موت أبويها !.. وهكذا تصرفه المادة عن سائر النواحى التى يجب أن يكون لها الحظ الوافر من الاهتمام والعناية .

كذلك الفتاة تطمع فى الزواج من شاب غنى موسر ، وترغب عن الزواج من شاب رقيق الحال ، ولو كان طيب السمعة حميد الخلق .

وجهلت الفتاة أن هـذا الغنى الموسر قد يصرفه ماله عن بيته ، أو ينسيه واجبات الزوجية ، وانهـا قد تجد سعادتها وهناءها فى ظل شاب رقيق الحال ؛ يملأ بيتها بهجة وحبـورا .

اننا لا ننكر أن المـال عامل من عوامل اكتمال السعادة الزوجية ، ولكن ليس معنى ذلك أن نوقف عليه مصيرنا الى هذا الحد ، بل يجب أن نهتم بالناحية الخلقية فى الزوجة قبل اهتمامنا بالناحية المـادية .

ويعتمد الكثيرون فى زواجهم على الخطاب والخاطبات ، فيمهدون اليهم باختيار الشريك أو الشريكة ، وهؤلاء الوسطاء يحنون على طلاب الزواج أشنع جناية ، ويلحقون بهم جسيم الاضرار ، لأن كل غايتهم اتمـام الزيجة ليظفروا بأجرهم من الطرفين ولأصور للقارئ مبلغ هذا الضرر أروى مأساة شاب وفتاة كانا ضحية احدى الخاطبات .

أراد ذلك الشاب أن يتزوج من فتاة موسرة ، يكون دخلها كبيرا لتعينه على العيش ، فلمـا علمت احدى الخاطبات برغبته طرقت باب احدى الأسر الفقيرة ، وحملت اليهم بشرى عثورها على شاب غنى من احدى البيوتات الكبيرة ، وزعمت أن دخله الشهرى لا يقل عن الخمسين جنيها . وأنه يمتلك فى المنوفية عشرات الأفدنة . . وفى الشرقية مثلها . وأنه ... وأنه ... إلى آخر هذه الأوصاف التى يجيد وصفها الخاطبات ! .

ثم عادت إلى الشاب تمنيه بالعثور على فتاة أحلامه ، فزعمت له أنها وفقت إلى الزوجة المنشودة ، وأنها من أسرة عريقة ... وان دخلها الشهرى لا يقل عن الخمسين جنيها ... وأنها تمتلك فى المنوفية عشرات الأفدنة ... وأنها ... وأنها ... تمـاما كما وصفت الشاب عند أول العروض ...

وصدق الشاب قول الخاطبة ، وصدق أهل الفتاة قولها ، وطمع الزوج فى إيراد الزوجة ، وطمعت الزوجة فى إيراد الزوج . وزفت الفتاة إلى الفتى . وتمت الزيجة . ولمـا انقضى الشهر الأول ترقب كل منهما إيراد شريكه ، فصدمتهما الحقيقة المرة . واتضح أن الزوج فقير معدم ، لا يزيد راتبه عن خمسة جنيهات ، وأن الفتـاة هى الأخرى فقيرة معدمة ، لا تمتلك شبرا واحدا من الأرض ... فلم يجـد الزوج فى زوجته غرضه ، ولم تجد الزوجة فى زوجها ضالتها ؛ فكانت المـأساة ... وانتهى الأمر بالفراق !

وكثيرا مايدب الخلاف بين الزوجين حول تنازع السلطة ، فالزوجة تريد أن تكون السلطة فى يدها ، فتمتلك زمام البيت ، وتهيمن على كل شئونه ، والزوج يرى من حقه أن يكون هو صاحب السلطة المطلقة فى البيت ، كلمته هى العليا ، ورأيه هو النافذ ... ومن هنا تتصادم الرغبتان ، فيقوم الخلاف بين الزوجين ، وكثيرا ما يتمخض هذا الخلاف عن أسوأ النتائج .

وعندى أن خير علاج لهذه المشكلة أن يقتسم الطرفان السلطة ، فيتولى كل منهما الاشراف على النواحى التى تناسبه فيتعاونان معا فى إدارة البيت وتصريف شؤونه ، ويتشاوران فى كل أمر ، وبذلك يستطيع الزوجان أن يديرا دفة البيت بحكمة وروح مشبعة بالود والتفاهم .

فاذكر على سبيل المثال ، أن النواحى التى يجب أن تكون من اختصاص الزوجة هى النواحى "الداخلية" أى الاشراف على تدبير البيت ، وتنظيم أبواب الانفاق ، وتربية الابناء.

أما النواحى التى تدخل فى دائرة اختصاص الرجل فهى الناحية المادية ، إذ أنه المسئول الأول عن هذه الناحية ، كما يدخل فى دائرة اختصاص الزوج مهمة التوجيه العلمى لأبنائه وتعهد شؤونهم .

أو بعبارة أخرى ، نستطيع أن نشبه البيت بدولة صغيرة ، يشرف على تصريف شؤونها طرفان ، فالرجل بطبيعته هو المسئول الأول عن كل صغيرة وكبيرة فى البيت ، فمن حقه أن نمنحه "السلطة التشريعية" أما الزوجة فمن حقها أن تمنح "السلطة التنفيذية" فتتولى تنفيذ برامج السلطة التشريعية ، وهكذا تسير شؤون البيت سيرا طبيعيا منظما ، دون أن تعترضها عقبات تعرقلها أو تعوق سيرها .

* * *

ومن عوامل الفشل فى الحياة الزوجية إسراف بعض الأزواج فى قضاء أوقات فراغهم خارج البيت ، فيضيقون ذرعا ببيوتهم ، وينفرون منها الى المقاهى والنوادى حيث يقضون جانبا كبيرا من الليل ، وينفقون الساعات الطوال يخوضون فى الأعراض ، أو يعكفون على الموائد الخضراء ، ولا يعودون الى بيوتهم إلا فى الهزيع الأخير من الليل .

هؤلاء الأزواج يهدمون سعادتهم الزوجية بأيديهم ، لأنهم يسرفون فى اللهو والعبث إسرافا يصرفهم عن واجبات البيت ومراعاة شؤونه .

ليس على الزوج حرج أن يقضى سهرة كل أسبوع أو كل شهر خارج البيت ، أما أن يقضى ليالى الأسبوع كلها بعيدا عن بيته وزوجه وأولاده فهذا استهتار بحقوق الزوجية يثير سخط الزوجة وغضبها ، وهى على حق حين تثور وتغضب ، لأن للبيت حقوقا يجب أن تؤدى وواجبات يجب أن ينزلها الزوج من نفسه منزلة التقديس .

* * *

وهناك أزواج ينفقون خارج البيت فى سخاء واسراف بينما يضيقون الخناق على زوجاتهم وأولادهم فيقترون عليهم تقتيرا قاسيا ينتزع جذور الحب من قلوبهم ، ولو أنصف هؤلاء الأزواج لاقتصروا فى انفاقهم على الأبواب المهمة ، ولقد روت لنا الصحف مأساة هذه السيدة الكريمة التى لجأت الى مكتب حماية الآداب شاكية زوجها لأنه يتقاضى مرتبا محترما ينفق معظمه فى المقامرة تاركا أولاده يتضورون جوعا ، وطلبت الى مكتب الآداب أن يتدخل فى هذا الموضوع ، وأمثال هذه الزوجة التعسة كثيرات ، نكبن بأزواج لا يحسنون التصرف ، فبينما يضنون على بيوتهم بالقروش تراهم ينفقون خارج البيت بالجنيهات ! .

وللمعاملة الزوجية أثرها فى حياة الزوجين ، فمن واجب الزوج أن يحسن معاملة زوجته وأن يعمل على إرضائها ، وتجنب ما يثير غضبها ، وعلى الزوجة مثل ذلك وبهذا يستطيع الزوجان أن يوطدا هناءهما ، وان كلمة طيبة يوجهها الزوج الى زوجته ، أو الزوجة إلى زوجها لكفيلة بأن تزيل من النفس كل أثر سيء ، كما أن كلمة جارحة يعثربها لسان أحدهما فى حالة الغضب قد تكون سببا فى افتراقهما ، واتساع شقة الخلاف بينهما .

* * *

تأتى بعد ذلك مشكلة السن ، فهناك آباء يفضلون زواج بناتهم من أزواج أغنياء رغم تقدمهم فى السن ، طمعا فى ثروتهم التى يتوقعون أنها ستؤول اليهن فى يوم من الأيام وهذه فكرة خاطئة ، لأنه ليس من الحكمة أن نضحى بسعادة بناتنا طمعا فى المال .

أى مال هذا الذى نبيع به سعادة بنتنا فنزوجها بشيخ محطم ، قوس الدهر ظهره ، طمعا فى ثروته وجاهه .

كيف نجمع بينهما تحت سقف بيت واحد ؟! . وهى فى ربيع حياتها ، وهو فى خريف حياته ؟! . .

كيف نجمع بين الشباب والشيخوخة ؟ ! . .
كيف نجمع بين القوة والضعف ؟ ! .
كيف نجمع بين الأمل واليأس ؟ ! . .
كيف نجمع بين النور والظلمة ؟ ! .

إن فتاة فى العشرين من عمرها أو دون العشرين لا تطيق العيش مع شيخ هرم ، لأن ميولها لا تتفق مع ميوله ، وأفكارها لا تنسجم مع أفكاره ، ومن الخير لها أن تقترن بمن يقاربها فى السن ، ليفهمها وتفهمه ، وتتفق مشاربها ومشاربه . . .

ألا سحقا لهذا الثراء الذى نشتريه بسعادتنا ، وما أفدح هذا الثمن الذى ندفعه لقاء هذا الثراء الموهوم ! إننا ندفعه من عصارة قلوبنا ! . . .

ثم كيف يتسنى لزوج تقدمت به السنون أن يكمل تربية أولاده ويراهم حتى يكبروا وهو فى الستين أو السبعين من عمره ؟ ! .

هذا خطأ يقع فيه بعض الآباء حين يزوجون بناتهم من شيوخ محطمين ، وعاقبة هذا الخطأ تحملها الزوجة المسكينة وحدها ، وهى عاقبة سيئة وخيمة . . .

ويصر بعض الآباء على زواج بناتهم بترتيب أعمارهن ، وبذلك يضيعون على الصغيرات منهن فرصا كثيرة ، قد لا تتاح لهن فيما بعد .

ويحسن أن يكون للفتاة رأيها فى الزوج الذى تقدم اليها ، فلا نغفل هذا الرأى بل يجب أن نقيم له وزنه ، وأن نحترمه ، لأنه حق شرعى من حقوقها ، خليق بنا ألا نهضمه .

* * *

وإذا دب الخلاف بين الزوجين وافترقا ، كان الأبناء الضحية الأولى لهذا الفشل ، فتتعرض حياتهم لأخطار كثيرة ، إذ يظلون حائرين بين الأم والأب ، فاذا تزوج الأب من زوجة أخرى حرم الأبناء من عطف الأبوة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوجة أبيهم .

واذا تزوجت الأم من غير الأب حرم الأبناء من عطف الأمومة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوج أمهم ، وكثيرا ما ينتهى الأمر بهؤلاء الأبناء الأبرياء الى التشرد فى الطرقات ، والسقوط فى حمأة الرذيلة ...

ان هؤلاء الأطفال المشردين الذين يهيمون على وجوههم فى الطرقات ، وتدفعهم الحاجة الى ارتكاب الجرائم ، ضحايا أبرياء ، جنت عليهم الظروف ففرقتهم بين آبائهم وأمهاتهم ، وشتت شملهم ، وكان عاقبة ذلك ما يقاسونه من شظف وحرمان ، وما يهدد حياتهم من بؤس وشقاء ، دون ذنب أو جريرة .

* * *

فلنفهم الزواج على حقيقته ، ولننظر اليه نظرة مجردة من كل مأرب أو غاية ، ولنشيد ببيوتنا الزوجية على دعائم قوية صحيحة ، لننعم بما نطمح اليه من سعادة وهناء ، ولنتجنب كل طريق لا يتهى بنا إلى الهدف المقصود والغاية المرجوة .

عيسى متولى

من صميم الحياة

الحزين الباسم

بقلم ضمير

لم يكن صديق سامح بالرجل حليف الهموم والاكدار ، ولم يحدث أن رأيته مرة إلا مشرق الطلعة منبسط الأسارير ، لا تكاد الابتسامة تفارق شفتيه فى الأحوال الطبيعية . فكان مثالا طيبا للرجل الذى قنع من الحياة بما أعطته إياه ، راضيا بما وهبته له .

ولم أكن أعرف من ماضيه شيئا إلا أنه تخرج من المدرسة الحربية برتبة " ملازم " ، وظل يرتقى حتى وصل إلى رتبة "اليوزباشى" .

وكنا نتردد على مقهى صغير نادر الزبائن جعله الأدباء والفنانون منتدى لهم ، يجتمعون فيه فى المساء فيتناولون فيه أحدث الأفكار ، والتعليق على الأخبار .

دخل "سامح" فى زمرتنا باعتباره محبا للأدب مريدا للفن ، وسرعان ماتوثقت بيننا و بينه أواصر الصداقة ، وكان يميها بما امتاز به ذلك الضابط من حلو الحديث ورقة الطبع وسمو الأخلاق . وأكثر من هذا فقد كان لغيبته عنا التى كان واجبه يدعوه إليها أحيانا ، أثر عميق فى نفوسنا كثيرا ماتكون نتيجته أن ننصرف الى بيوتنا مبكرين . ولا نكاد نراه بعد ذلك حتى نستقبله بعاصفة من الأسئلة الممزوجة بفرح صبيانى ، وعاطفة صادقة . فكان يقابل كل هذه المظاهر بابتسامة تجلى رائعة ، ترتسم على شفتيه فى هدوء و بهجة واطمئنان .

وفى إحدى الأمسيات ، كان اليوزباشى سامح يقص علينا بابتسامته التى تتربع وسط طلعته ، إحدى قصصه اللذيذة التى وقعت له أثناء النهار ، والتى لا تكاد تنتهى إلا بنكتة يضج لها الحضور بالضحك والإغراق فيه . وكان أكثرنا ضحكا الزميل "ضيف" الذى كان على عكس صاحبنا سامح ؛ فهو فى جلسته خير من يمثل الرجل المتشائم من الحياة ، الساخط على كل ما فيها ، حتى لقد اقترح أحد الزملاء أن يعرض الزميل " ضيف " فى متحف "اللوفر" ليمثل بجلاء تمثال " التبرم " . فلو لم تكن أحدوثات سامح من الطرافة والنكتة بحيث تنبسط

لها أساريره " ضيف " لما أمكن لمخلوق أن يخرجه من سخطه ، أو ينتزعه من صومعة التشاؤم والتبرم .

وشاء "ضيف" أن يكون له الفضل الأول فى كتابة هذه القصة عند ما انحنى علىّ وقال بسر فى أذنى "إننى لم أر اليوز باشى سائح" عابسا قط ، بل لم أره يوما وقد زالت الابتسامة من شفتيه ... حقا إن فى العالم أناسا لا يحملون هما ، وليس للدنيا فى نظرهم حساب .... ياله من مجدود سعيد .. " .

لم أشأ أن أعلق على كلام الزميل الحسود بأكثر من هزة مبهمة من رأسى ، فقد فطنت إلى أن "اليوز باشى" قد سمع الهمسة ، فخلق فينا بعينين فيهما ضيق ، وفيهما عتاب ، وابتسامته باهتة ، وتكاد تتلاشى ...

أنصرف الجميع ، وكأن لم يسألنى "ضيف" ما سأل . وفى صباح اليوم التالى طرق باب غرفة مكتبى جندى من جنود المراسلة وقدم لى لأول مرة خطابا من "اليوز باشى سائح" جاء فيه :

صديقى الأستاذ . . .

إغفر لى جرأتى إذ كتبت اليك رسالة تحمل شيئا لا يهمك فى كثير أو قليل ، ولكن من يدرى فقد يكون فيها شيئا تحسه مشاعرك الرقيقة ، فتعيش معى فى جو ربما صلح فى يوم ما لأن يكون مادة طيبة لصحيفتك .

عفوا صديقى إذا كنت قد سمعت برغمى ما دار بينك وبين الأخ "ضيف" من حديث دار حولى ، فوالله لقد اخترقت كلماته أذنى ، إنه يغبطنى على ما أبدو فيه من بشر ومرح ، ويحسدنى على ما أنا عليه من هناء وسعادة ، ولكن هل تحقق من صدق هذه السعادة التى يرانى فيها ؟ وهل هى سعادة من تمتع فى حياته ونال ما اشتهى ؟ أهى سعادة صحيحة ؟ أم هى سعادة زائفة لا تحمل من الحقيقة أكثر من اسمها ؟ قد تكون كذلك . فقد ترى إنسانا ضاحك السن منبسط الوجه ، تدوى قهقهته فى الأرجاء . لكنك إذا فتشت عن قلبه الذاوى بين ضلوعه النخرة ، وجدت قلبا مكلوما مثقلا بالحزن والألم . فياله من سعيد ! ! سأقص عليك قصتى يا صديقى لترى مدى سعادتى بنفسك ، ولتقف على حقيقة أمرى :

كان والدى من أولئك الذين ترك لهم أهلهم الحبل على الغارب فأساءوا إلى أنفسهم بقدر ما أساءوا إلى غيرهم ، كان ذكيا مفرط الذكاء متلافا مبذرا ، لا يهمه من الدنيا سوى اجتلاء محاسنها ، وتذوق مفاتنها .

أما والدتى فكانت سيدة طيبة القلب ، ساذجة ، لا تعرف من أمر الدنيا أبعد من عتبة بيتها . نشأت على التربية والتقاليد القديمين ، ودرجت بين أهل لا يعرفون شيئا أقدس من الشرف أو أسمى من الفضيلة .

تقدم والدى لخطبة والدتى فرحب به الجميع لما بين العائلتين من تقارب فى الوسط والمركز . ولما امتاز به والدى من ذلاقة لسان استطاع بها أن ينتزع موافقة أهل والدتى السذج طيبو القلب .

لم يمض أسبوع واحد على يوم الزفاف حتى انقلب الزوج المهذب كريم المحتد ، إلى سوقى وضيع ، يغضب لأتفه الأسباب ، ويصيح لأبسط الغلطات . فأحال جنة زوجته التى كانت تتمتع بها فى منزل أبويها جحيما لا يطاق فى منزل الزوجية . ومع ذلك فقد صبرت المسكينة ولم تبد تأففا ولا تضجرا ، بل لم تجرؤ على ذلك يوم أن رأت زوجها يجىء إلى البيت بعد منتصف الليل مخمورا ، تفوح منه رائحة الخمر ، وقد استند إلى سواعد أصحابه وجلسائه فى وكر الشيطان . فكان كل ما فعلته أن جلست فى سريرها طول الليل تندب حظها وتذرف الدمع فى صمت وسكون ، خشية أن يتنبه "السكران" فيغضب .

تكرر الموضوع واسترسل الزوج فى غيه غير مبال بما كان يصبه عليه رئيسه من اللوم والتأنيب لتأخره فى الصباح ولإهماله فى عمله . ولكن صاحبنا كان مستهترا لا يبالى أرضى عنه رئيسه أم غضب ، وسواء عنده أن خرج من عمله أو ظل فيه ، فالأعمال كثيرة ، أما الملذات فيجب أن يغتنم منها الشئ الأكثر .

لم تستغرب الزوجة من زوجها أنه كثيرا ما يتغيب يوما ويومين وثلاثة عن منزله ، فقد تعودت منه ذلك حتى أصبح ذلك شيئا عاديا مألوفا لديها . ولكن ما أثار دهشتها ، أن تغيب الزوج أسبوعا لم تعرف له فيه مقرا ، ولم تكن قد أخبرت ذويها من قبل بتبدل طباع زوجها معللة النفس بأنه سيرتدع فى يوم ما ، ولكن مجىء والدتها لزيارتها ، ثم ما لاحظته الأم على ابنتها من هزال وضعف بادين ، أخرجها من صمتها .

سألتها السبب ، فحاولت أن تظهر أمامها بمظهر السعيدة ، ولكنها كما قلت كانت ساذجة طيبة القلب ، فسرعان ما كذبتها حركات وجهها واضطراب صوتها . فما زالت الأم بها حتى عرفت منها الحقيقة ، أو ما يشبه الحقيقة ، فغضبت وثارت وظلت فى البيت حتى أتى الزوج ذات ليلة يترنح من نشوة الخمر ويتمايل يمينا وشمالا . انبرت له الأم بعاصفة من اللوم والتأنيب ، ولكن صاحبنا كان سابحا فى غيبوبة فلم يفقه لكلامها معنى ، ولو كان منتبها لما فقه كذلك ، وأخيرا تحامل على قدميه وذهب الى سريره وأغلق عليه الباب ، ولم تملك الأم التى

تحب ابنتها والتى تحرص على سعادتها أن طيبت خاطرها بكلمتين أملاهما الموقف فيهما مواساة ، وفيهما أمل ، وذهبت إلى بيتها تاركة ابنتها بالرغم منها مؤملة أن تنصلح الأمور وتتعدل الأحوال ، فيهتدى الزوج الضال . لكنه لم يرعو ولم يرتدع أكثر من يومين عاد بعدهما ليذيق زوجته من أخلاقه علقما . ولم تستطع المسكينة أن تلجأ إلى ذويها ، فهى تعلم أن تقاليد الأسرة لا تسمح لإحدى فتياتها أن تغضب من زوجها ، فعليه الأمر وعليها الطاعة . وكان الدافع الأكبر لسكوتها المحض أنها شعرت بأعراض الحمل ، ووجدت فى ذلك رباطا ليس من السهل العبث به .

احتملت الآلام شهورا بلغت فيه روحها الحلقوم ، وكأن لم يكفها ما عانته ، فأبت الأقدار إلا أن تضع وليدها بالآلام المبرحة التى لا تحتمل ، ولكن كيف لا تحتمل الآلام الجسمانية ، وفى آلامها النفسية الشىء الكثير؟

مضى عام على مولد الطفل ، استطاع فيه الزوج أن يسلب زوجته جزءا كبيرا من حليها ، بعد أن طرد من عمله ، ليقامر بثمنها وينفقها على خلانه من عشاق بنت الحان . ولم يجد عناء ولا كبير مشقة فى الاستيلاء على حلى الزوجة النقية السريرة ، فيكفيه أن يتلاعب بعقلها بكلمتين من قاموسه — الذى يكسب الباطل حقا ويلبس الحق زورا — كى تسلم له المنكودة .

كان مجىء الطفل عزاء للزوجة تتسلى بمداعبته والعناية به ، كما كان أيضا شؤما عليها ، فقد وثق رباطها ولم يجعل لها أملا فى الفكاك من هذا الجحيم .

استعرت نار الجحيم وزاد أوارها عندما رأت الزوجة زوجها فى ذات يوم يكشف عن ذراعه ليحقن نفسه بمادة مخدرة استطاعت أن تقرأ على زجاجاتها كلمة " مورفين " وكانت هذه المادة السامة قد انتشرت فى مصر فى وقت من الأوقات وكان صاحبنا فى طليعة المتلهفين ، فلا تكاد يده تمتد إلى المرتب الذى فرضه له والده شهريا بعد فصله من عمله إلا ويهرع إلى تاجر السموم يقدمها له ليتناول بثمنها المخدر . وكان اذا مر وقت ولم يتناول المخدر أو امتنعت زوجته عن اعطائه بعض ماتبقى من حليها انهال عليها سبا ويكاد يهم بالاعتداء عليها لولا بقية من تهذيب أو ما لست أدريه ، فقد يكون لمنظر الزوجة المسكينة ، وهى تتوسل اليه وترجوه أن يقلع عن إدمانه ولو من أجل طفله ما يرجعه عن إيذائها ، فهو إذا امتنع عنه المخدر يصبح مجنونا وأى جنون ، انه جنون مدمر ، متوحش ، ثائر . يحطم كل ما تصل اليه يداه ، وأظنه لو طال طفله الصغير وقتئذ لمزقه فى شدة هياجه . وما أن يأخذ المخدر حتى يهدأ ، ويحس بنشوة تهدئ أعصابه ، فيخمد بريق عينيه وتتضاءل نظرتهما

رويدا رويدا ، فيظل جالسا بالساعات مغشيا عليه لا يفيق إلا ليبحث عن المخدر من جديد . فاذا أفاق ولم يجد ما يحتمل به دلى بغيته امتدت يده خلسة إلى الأشياء الثمينة فى البيت ، فينسل خفية لبيعها أو يرهنها ليحصل بثمنها على ما يريد . فاما استنفد كل ما فى البيت ، عرج على صيوان الملابس فباع ملابسه ولم يتورع عن بيع ملابس زوجته كذلك ، و بالجملة لم يترك فى البيت شيئا يسهل حمله ذا قيمة إلا وأتى عليه . بل لقد حاول يوما أن يخدع زوجته باغرائها لكى تأمر الخادم باخراج سجاجيد المنزل لتنظف فى السطح ، وكان يقصد بهذه المناورة المكشوفة طبعا أن يسطو عليها و يبيعها .

وأمام كل هـذا فاض صبر الزوجة ولم تجد مندوحة من الالتجاء إلى ذويها لحمايتها من رجلها السكران . ولكنها رجعت مع ذويها لكى تجـد كل الأوانى النحاسية مباعة ، وكأنمـا الزوج قد أحس بما تدبره زوجته فولى الادبار تاركا طفله وزوجه تحت رحمة الأقدار ، فهى تحمل طفلا صغيرا على صدرها ، وفى يدها اليمنى ولدها الأكبر .

إلى أين تذهب هذه المسكينة بطفليها الصغيرين ؟ ألى بيت والدها الذى انتقل الى رحمة الله ولم يترك شيئا يذكر فقـد أنفق معظم ثروته على المضايف والولائم ؟ أم الى بيت أمها التى تملك إيرادا بسيطا ؟

أتذهب لتقاسم أمها هذا النخل المتوسط وهى الأبية ذات النفس العالية ؟ أم تذهب إلى أهل زوجها تشكوه اليهم وتبسط لهم حالها ؟

ظلت المسكينة ساهرة بعد أن فارقها ذووها وهم يشددون عليها بأن منازلهم مفتوحة رهن اشارتها ، وأنها مهما طلبت من شىء فهم على استعداد لتلبية الطلب . ولكن أهم جادون حقا فى عرضهم هذا ؟ انه عرض يتشابه كثيرا مع من يرى شخصا يكاد الجوع يقتله ، فيقول له : أأنت جوعان حقا ؟ إذا كنت كذلك فاطلب ما شئت ، فإننى رهن أمرك .

* * *

ذهبت إلى منزل شقيق زوجها الأكبر ، وما أن وطئت أقـدامها باب المنزل العام حتى تصورت نفسها وهى تعرض قضيتها أمام أقارب زوجها ، ورأت فى ذلك جرحا لإحساسها واهانة لكبريائها ، ونوعا من أنواع الاستجداء المقنع لاتقبله بأى حال . فنكصت ثانيا وارتدت إلى منزلها حزينة حيرى .

ماذا تعمل ؟ وكيف تعيش ؟ ومن أين لها المـال لتربى ولديها ؟ أتنتحر ؟ لمن تترك طفليها ؟ وأخيرا وبعد تفكير طويل أسعفتها والدتها بالجواب فعرضت عليها أن تقاسمها عشها ، وهو

يكفيهم جميعا ويزيد، لو ساروا فى حياتهم سيرا متواضعا. وبعد حوار طويل أمكن للأم أن تصحب ابنتها وحفيديها إلى منزلها يتقاسمون فيه العيش ويمضون فيه حياة متوسطة هادئة.

* * *

مضت الأعوام تلو الأعوام والزوجة الشابة الجميلة ترد الراغبين فى زواجها وتقطع أملهم من ذلك لا لشىء إلا لكى تتفرغ لتربية ولديها بنفسها، ولكيلا تعرضهما لطغيان الأزواج الذين يرون فى أولاد زوجاتهم دخلاء عليهم يقتطعون من رزقهم ماليس من حقهم. وكان فى امكانها أن تتزوج رجلا ذا مركز عظيم محترم ولكنها رفضت السعادة التى تقدم اليها فى ظروفها هذه، بل كادت تثور عند ما تكرر الطلب، فأولادها فوق كل شئ، ولن تفرط فيهم مهما حدث، ولن تتوانى عن السهر عليهم مهما فعلت الأيام.

وظلت على عهدها هذا تحرم نفسها ملذات الحياة المعروضة عليها فى كرم وسخاء، لتوفر لأولادها السعادة التى حرمت منها.

ومضت سنوات كبر فيها الابن الأكبر فألحقته بإحدى المدارس، وكأنما الطفل الصغير قد أدرك بفطرته ما تعانيه أمه فى سبيله من آلام نفسية هائلة كى توفر له السعادة والهناء فاجتهد واستمات فى سبيل العلم حتى كان دائما أول فرقته، وكان موضع فخر أمه وسلوتها.

وكان صورة من طباع أمه السامية وشمائلها العالية، عندما كان يسعى جهده كيلا يكلف أمه شيئا يرهقها، فهو يتفوقه فى المدرسة اكتسب المجانية، و بتقتيره على نفسه أمكنه أن يدخر مبلغا حصل به على ملابس له. ولا تسل عن دهشة الأم عند ما دخل عليها طفلها ذات يوم يحمل لفافة الملابس التى اشتراها بمصروفه اليومى المدخر، والى جانبها هدية متواضعة لأمه، ولكنها بكت، أجل بكت من حنان ابنها، وهى التى لم تلق الحنان عند زوجها الغادر. ولم يملك الطفل أيضا إلا أن يبكى تأثرا وانفعالا وتبكى معه أمه ويمعنا فى البكاء.

* * *

شب الصبى لا يعرف له أبا، وقد كان يسمع الأطفال فى أحاديثهم يذكرون أباهم الذى أحضر لهم كذا وكذا من هدايا آخر العام، فسأل نفسه: وأين أبى ولم لا يحضر لى الهدايا؟ وكرر السؤال على أمه، فقالت له وهى تكتم أنات القلب الجريح: لقد مات أبوك فترحم عليه. وكفى الطفل ما رآه على وجه أمه من ألم لكى لا يكرر سؤاله أو يستزيد من المعرفة.

أما أقاربه فقد كفاه منهم ما رآه من أحدهم وهو العم الأكبر إذ صادفه يوما يسير فى الطريق منتفشا كالديك الرومى وكان الطفل آيبا من المدرسة ، وما أن لمحه العم حتى أشاح عنه بوجهه ومضى ، وكان الطفل قد هم بمصافحة عمه الذى تصادف أن رآه مرة أو مرتين. ويذكر الطفل أنه لم ينم تلك الليلة وظل مسهدا تتكشف له الدنيا عن آفاق جديدة من طبائع البشر وأخلاقهم . ويذكر جيدا كيف أن والدته قامت مذعورة على صوت بكاء ولدها فى الليل ، وهرعت اليه متسائلة ، فأخبرها بالسبب ، فطيبت خاطره ودعته للنوم ، ولكنها ذهبت إلى غرفتها لكى تبكى طول الليل ، ولم يكن هـذا الليل الساكن الهامد إلا مذكيا فى نفسها الذكريات الأليمة ولا سيما ما رواه لها ابنها فأصاب الموضع الحساس من قلبها ، موضع الألم العميق والحزن الجارف .

وقد كان لضمير الصبي وألم أمه الجارف أكبر الأثر فى جده واجتهاده ، فظل مثابرا مجدا مجتهدا يحاول ما استطاع أن يخفف من آلام أمه ويبدلها حبورا ومسرة بقدر المستطاع وظل يتقدم ويجد ويجتهد حتى ظفر بالبكالوريا بدرجة ممتازة جدا فأخذت الحكومة على عاتقها أن تعلمه فى الدور العالى بالمجان فاختار الكلية الحربية وظفر باجازتها ، ولا تسل عن فرح أمه التعيسة التى لم تعرف الفرح من قبل يوم أن ازدان كتف ولدها بالنجمة الذهبية اللامعة ، ولا تسل عن فرح الشاب عندما نجح لالشيء الا لأنه تأكد من مقدرته على توفير السعادة والهناء لأمه وجدته وأخيه .

حقق لها كل ما كان يعدها به وهو طفل من الوعود الساذجة وعمل جهده حتى أعاد لها بسمتها التى فقدتها منذ ولجت بيت زوجها وأعاد الى نفسه البسمة التى كان زملاؤه فى المدرسة لا يلمحونها على شفتيه الا نادرا .

وذات يوم عاد الزوج بعد أن قرأ خبر ترقية ابنه الى رتبة اليوز باشى وتحدثت الصحف بكفاءته ومهارته النادرة ، عاد الرجل يجر اسمالا قذرة يرتديها ويسميها ملابس ، عاد ليذكر المرأة الفاضلة بمأساتها فى الماضى ، ويفرض عليها ايواءه فى منزل ولده ، ولكنها وقفت تدافع عن فتاها الذى لا يتصور أن له أبا كهذا الأب الباغى فهو يعتقد أنه قضى واستراح ، ولكنه لم يكترث بتلك الأقوال ، وأخذ يخبرها بوقاحته المعهودة بأن له كل الحق فى أن يتمتع مثلها بنقود فلذة كبده . وأراد الله ان يحضر الابن فى هذا الوقت وأن تخترق كل الكلمات أذنه قبل أن يراه ، فيقف بنفسه على حقيقة مرة ظلت عشرين عاما فى طى الكتمان .

لايدرى اليوز باشى ما هو الشعور الذى سيطر عليه فى ذلك الوقت ، ولكنه كان أقرب إلى الاشمئزاز منه الى أى شيء آخر . قام الرجل واقفا عندما رآه يدخل واقترب منه ،

ولكنه عاد فتكمش عند نظرة الابن المخيفة، ذلك الابن الذى لم يقو على النظر الى أمه المرتعدة الشاحبة الا عندما سمع صوت جسدها الرقيق يسقط بقوة على الأرض بغتا بجانبها يستعطفها ويخاطبها بأرق الكلمات . وعندما أفاقت أرادت أن تشرح له الموقف فمنعها من ذلك وأفهمها بأنه قد سمع كل شيء. ولم يفعل بعد ذلك أكثر من أن يرمق هذا الذى قدر له أن يكون والده بنظرة عجلى باهتة، فيها معنى رائع من معانى الزراية والاحتقار ، ثم قال له :

"سيدى: إننى أعرف أنك لاتستحق حتى هذا الاسم. ومع ذلك فليس هناك مايمكننى أن أناديك به غيره مع الأسف ، ولذلك فانى أقول لك ياسيدى بأننى أمام تأخر الوقت سأمنحك فرصة للبيت فى هذه الغرفة التى تبقى فيها، حتى إذا أتى الصباح غادرت هذا المنزل من فورك. و إلى غير رجعة؛ بعد أن أزودك بالمال الكافى لشق طريقك فى الحياة على صورة شريفة" ثم تركه فى الغرفة وخرج بوالدته .

وفى صباح اليوم التالى قام اليوزباشى مبكرا ليتفق مع الرجل على الرحيل قبل أن تستيقظ أمه، ولكنه كان قد اختفى ومعه أنفس فضيات المنزل . فدخل على والدته فى غرفتها فوجدها ملقاة على ظهرها فاغرة الفم متصلبة العضلات، وقد عرف آخر الأمر أنها قد أصيبت بمرض عضال بعد أن شاهدت زوجها فى المساء يتسلل الى غرفتها ليختلس حليها .

* * *

لعلك ياصديق تكون قد فهمت من هذه القصة أننى ذلك الابن المنكود ، كما تكون قد لمست فيها بذاتك مقدار ذلك الألم القاتل الذى يعتمل وراء تلك الابتسامة التى أزورها على فمى دائما تحت ستار من المرح الزائف ، والتى يحسدنى عليها كل السعداء .!!

صديقك

سامح

وانتهيت من قراءة ذلك الخطاب الطويل الأليم فخرجت منه بقصة دامية من قصص الحياة التى تحدث كثيرا فى خفايا المجتمع ، ولم أجد مواسيا لصديق الحزين الباسم غير أن أدون للناس قصته الباكية وأن أقول له ماقال الشاعر :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

سمير